وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة زيان عاشور – الجلفة-

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ وعلم الآثار

المقاومة الثقافية والدينية في موريتانيا

ضد الاستعمار الفرنسي (1903م - 1960 م)

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر

تخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر

إعداد الطالبين:

مصطفى ربيح

بلقاسم نصر الدين بوشنافة

تحت إشراف الدكتور:

الطيب يوسفي

الموسم الجامعي: 1446 -1447هـ / 2025 -2026م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى كل الذين أنارو لنا عتمة الحياة

دون أن يدروا..... بكلمة .....بفعل

وربما بدعاء

مصطفى

الإهداء

بسم الله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى، الحمد لله الذي وفقني لإتمام عملي وجعل العلم نورا ينير دربي وصلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا وبعد :

اهدي ثمرة جهدي المتواضع :

الى التي كانت دعواتها تسبقني في كل خطوة اخطوها ، الى امي الحبيبة (فاطمة) حفظها الله

الى الذي احمل اسمه بكل فخر، ابي الغالي (كريم) حفظه الله وبارك في عمره.

الى التي تحمل اسمي بكل فخر وفاء الى ام اولادي زوجتي

الى من يحملون لقبي الى فلذات كبدي ، ولدي البكر (محمد يونس) وصغيري (هيثم)

.

الى اخواتي اللاتي كن مصدر قوتي اللواتي شاركنني لحظات التعب والفرح (فاطمة؛ نوال؛ السعدية؛ عائشة؛ بشرى) الى كل العائلة الكريمة كل باسمه وجميل وسمه. الى اساتذتي وزملائي كل باسمه ومقامه حفظكم الله وجزاكم الله عني كل خير واخيرا وقبل كل شيء الى نفسي التي حملت التعب وتعلمت معنى الصبر وواصلت حتى وصلت اهديك هذا العمل اعترافا بجهدك واصرارك وفخرا بكل ما قدمته رغم الصعاب .

واخيرا اسأل الله التوفيق والسداد.

بلقاسم

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبفضله تتحقق الغايات

في ختام هذه الرحلة العلمية، التي كانت مزيجًا من التحديات والاكتشافات، لا يسعنا إلا أن نتوقف لحظة، لنمتن ونكرم كل من كان له أثر في هذا الإنجاز، مهما بدا بسيطًا.

أول امتناننا، لله الذي غمرنا بلطفه، وأودع في قلبنا القوة واليقين، فله الحمد في البدء والختام.

ثم نرفع عبارات التقدير والاحترام لأستاذنا المشرف د. يوسفي الطيب، الذي كان النور الذي أضاء لنا طريق البحث، والصوت الذي وجهنا بحكمة، فله منا عظيم الشكر والعرفان

إلى أساتذتنا الكرام الذين لم يكونوا مجرد ناقلي معرفة، بل زرعوا فينا حب السؤال، وشغف الفهم، وعلمونا أن العلم رسالة قبل أن يكون مهنة...

شكراً لنبلكم.

قائمة المختصرات

التعيينات	الرمز
صفحة	ص
طبعة	ط
دون تاريخ	د. ت
جزء	ج
ترجمة	تر
تعريب	تع
عدد	ع
مجلد	مج

مقدمة

تُعدّ موريتانيا من البلدان التي واجهت الاستعمار الفرنسي بمختلف أشكال المقاومة، فلم تقتصر مواجهة الاحتلال على الجانب العسكري فحسب، بل امتدت لتشمل ميادين الثقافة والدين، باعتبارهما الركيزتين الأساسيتين اللتين قام عليهما المجتمع الموريتاني عبر تاريخه، فقد أدرك الاستعمار الفرنسي منذ بداية توغله في البلاد مطلع القرن العشرين المكانة الكبيرة التي تحتلها المحاضر والعلماء والزوايا في تشكيل الوعي الاجتماعي والديني، لذلك سعى إلى فرض سياسة تهدف إلى إخضاع المجتمع والتحكم في بنيته الثقافية والفكرية، عبر التضييق على التعليم التقليدي ومحاولة توجيه الحياة الدينية بما يخدم مصالحه الاستعمارية.

غير أنّ المجتمع الموريتاني، بما امتلكه من عمق إسلامي وتراث علمي عريق، تصدى لهذه السياسات بمقاومة ثقافية ودينية قوية، قادها العلماء وشيوخ المحاضر والفقهاء، من خلال الحفاظ على الهوية الإسلامية والعربية، ونشر التعليم الشرعي، وترسيخ قيم الرفض والممانعة في نفوس السكان. وقد لعبت المحاضر الموريتانية دورًا محوريًا في حماية المقومات الحضارية للمجتمع، إذ تحولت إلى حصون علمية وثقافية ساهمت في مواجهة محاولات التغريب والطمس الثقافي التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية.

لذا وقع اختيارنا على موضوع " المقاومة الثقافية والدينية للاحتلال الفرنسي 1903م – 1960م"، لاستقراء وتحليل هذه الأدوار

الإطار الزماني الموضوع الدراسة المتمثلة في المقاومة الثقافية والدينية في موريتانيا ضد الاحتلال الفرنسي هو فترة الاستعمار الفرنسي للمنطقة الممتدة ما بين 1903م إلى 1960م وهي الفترة التي أثرت فيها المحضرة تأثيراً كبيراً في البنية الثقافية والسياسية للمجتمع في إطار حربها ضد الاستعمار، وهو تأثير قل يوجد نظير له في البلاد المغاربية إبان فترة استعمارها.

دوافع اختيار الموضوع:

يكاد يكون التاريخ الموريتاني مجهولاً لدى الكثير من الباحثين والطلبة لقلة اهتمامهم به وعدم إعطائه ما يستحق من الدراسة الكافية على خلاف الأقطار المغاربية الأخرى، الأمر الذي أدى إلى نقص كبير في المراجع حول تاريخ بلاد شنقيط باستثناء بعض الكتابات الفرنسية التي رغم موضوعيتها في الطرح بعض الأحيان إلا أن أغلبها تميز بالنزعة الاستعمارية وتمجيد الاستعمار وسياسته.

ومن الأسباب الموضوعية التي دفعتنا إلى اختيار الموضوع تذكر:

- المساهمة في إبراز المكانة التاريخية والحضارية الموريتانيا.
- إبراز حقيقة الجامعة البدوية التي كان لها الأثر الأكبر في صناعة تاريخ موريتانيا الثقافي والديني والإلمام بكل ما يتعلق بها

- إعطاء صورة واضحة عن التوغل الفرنسي بالمنطقة وما نتج عنه من سياسة توسعية استعمارية كان لها الأثر الكبير على الجانب الثقافي الموريتاني بشكل خاص، وبالتالي التطرق إلى موضوع مهم ضمن تاريخ المغرب العربي في الفترة المعاصرة
- الرغبة في تسليط الضوء على الأساليب التي استعملتها فرنسا لفرض مشروعها الثقافي ومحاربة الدين الإسلامي.
- الوقوف على الدور الثقافي الذي لعبته موريتانيا زمن الحقبة الاستعمارية من خلال مؤسساتها البدوية "المحاضر" التي كانت بمثابة جدار ثقافي منبع أمام محاولات الاستعمار الشرسة، بفضل جهود علمائها ومشايخها المتنوعة.

أما الأسباب الذاتية فتتمثل في:

- تأثرنا بشخصيات معروفة على الساحة العربية ممن كان تكوينهم الأساسي من المحاضر الموريتانية
- الرغبة في دراسة التاريخ الموريتاني والإلمام بتاريخ المغرب العربي المعاصر
- معرفة الشخصيات المهمة في تاريخ موريتانيا خلال فترة الاستعمار الفرنسي
- الرغبة والميل إلى هذا النوع من الدراسات المتعلقة بالجانب الثقافي والديني، وهذا من أجل إزالة الغموض الذي يكتنف المقاومة الثقافية الموريتانية التي لم تحظ بالاهتمام المحلي والعربي الكبير، وبالتالي المساهمة في نشر أكبر قدر من المعلومات حول تاريخ البيضان بشكل عام والمحاضر بشكل خاص والتي تشبه في رسالتها المدارس القرآنية والزوايا الموجودة في الجزائر في فترة ما إلى حد بعيد.

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية دراسة موضوع "المقاومة الثقافية والدينية في موريتانيا ضد الاستعمار الفرنسي" في كونه يكشف جانبًا مهمًا من تاريخ المقاومة الوطنية، ذلك الجانب الذي اعتمد على الفكر والعلم والدين كوسائل للنضال والحفاظ على الشخصية الوطنية. كما تتيح هذه الدراسة فهم طبيعة العلاقة بين الاستعمار والبنية الثقافية والدينية للمجتمع الموريتاني، وإبراز الجهود التي بذلتها النخب العلمية في الدفاع عن الهوية والخصوصية الحضارية للبلاد.

إشكالية الدراسة:

يتناول البحث الذي بين أيدينا فترة مهمة من تاريخ موريتانيا الثقافي خلال القرن العشرين ميلادي، والذي برزت فيه المقاومة بكل أنواعها ضد التواجد الفرنسي وسياساته، غير أنها لا تزال مجهولة لدى الدارسين والباحثين في الجزائر نتيجة لقلة الدراسات الأكاديمية حولها.

ومن هنا تطرح إشكالية هذه الدراسة نفسها وهي: إلى أي مدى ساهمت المقاومة الثقافية والدينية في موريتانيا في مواجهة السياسات الاستعمارية الفرنسية والحفاظ على الهوية الإسلامية والعربية للمجتمع الموريتاني؟ وتتفرع عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات هي:

ما طبيعة السياسة الثقافية والدينية التي انتهجها الاستعمار الفرنسي في موريتانيا؟
ما الدور الذي لعبته المحاضر والعلماء في مقاومة الاستعمار؟
ما أبرز مظاهر وأساليب المقاومة الثقافية والدينية؟
كيف ساهمت هذه المقاومة في الحفاظ على الهوية الوطنية وتعزيز الوعي التحرري؟
ما أثر المقاومة الثقافية والدينية في دعم المقاومة السياسية والعسكرية ضد الاستعمار الفرنسي؟

الدراسات السابقة:

حظي موضوع المقاومة الثقافية والدينية في موريتانيا باهتمام عدد من الباحثين والمؤرخين (خصوصا في موريتانيا)، حيث تناولت بعض الدراسات المقاومة الوطنية ضد الاستعمار الفرنسي من جوانبها السياسية والعسكرية والثقافية، بينما ركزت أخرى على دور المحاضر والعلماء في الحفاظ على الهوية الإسلامية والعربية للمجتمع الموريتاني ، فقد تناولت دراسة الباحث محمد المختار ولد اباه تاريخ الحياة الثقافية والعلمية في موريتانيا، مبرزةً مكانة المحاضر ودورها في نشر العلوم الشرعية واللغة العربية، كما أشارت إلى تأثير الاستعمار الفرنسي على البنية الثقافية للمجتمع الموريتاني وهنا تتفق دراستنا هذه معه في خصوصا في موضوع المحاضر.

كما اهتمت بعض الدراسات بتاريخ المقاومة الوطنية، ومن بينها أعمال حماه الله ولد السالم التي تناولت أشكال المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي، وأبرزت الدور الذي لعبه العلماء والزوايا في تعبئة المجتمع ورفض السياسات الاستعمارية ، أين استفدنا منها في الفصل الثاني.

وتطرقت دراسات أخرى إلى السياسة الدينية الفرنسية في موريتانيا، موضحةً أساليب الإدارة الاستعمارية في التعامل مع الإسلام والمحاضر، ومحاولاتها إخضاع المجال الديني والثقافي لخدمة أهدافها السياسية، مع إبراز ردود فعل العلماء والمجتمع تجاه تلك السياسات مثل الدراسة التي قامت بها حبيبة ميلود و كريمة مقدم حول السياسة التعليمية الفرنسية في موريتانيا و التي تناولت جانب من دراستنا حول المقاومة

الثقافية للسياسة الفرنسية في مجال التعليم.

ورغم أهمية هذه الدراسات، فإن معظمها تناول المقاومة الثقافية أو الدينية بصورة جزئية، أو ركز على الجانب السياسي والعسكري للمقاومة، في حين تسعى هذه الدراسة إلى معالجة موضوع المقاومة الثقافية والدينية في موريتانيا بصورة شاملة، مع التركيز على دور المحاضر والعلماء في مواجهة الاستعمار الفرنسي والحفاظ على الهوية الوطنية.

منهج الدراسة:

الدراسة هذا الموضوع وفي قالبه العلمي اتبعنا المنهج التاريخي الوصفي، ذلك المنهج المعني بوصف الأحداث التي وقعت في الماضي وصفا كيفيا، يتناول رصد عناصرها وتحليلها ومناقشتها وتفسيرها، والاستناد على ذلك الوصف في استيعاب الواقع الحالي وتوقع اتجاهاتها المستقبلية القريبة والبعيدة. القائم على استعراض الأحداث التاريخية وبتسلسل وذكر وقائعها بشكل دقيق ومفصل، وكذا تحليل بعض الحقائق والوقائع ومناقشتها قدر المستطاع وربطها بمسبباتها والتعرف على تطوراتها واستنتاج الأحكام منها.

إضافة للمنهج التحليلي ليتسنى لنا معرفة تاريخ موريتانيا والوقوف على بعض محطات تاريخها وتحليلها تحليلا منطقيا وخاصة محطة شيوخ المحاضر ودورهم.

الخطة المعتمدة:

للإلمام بموضوع الدراسة والإجابة عن الإشكالية المطروحة وبشكل منهجي اتبعنا خطة بحث تتكون من ثلاث فصول رئيسية، بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة وملاحق لتدعيم بحثنا وفهارس

تناولنا في المدخل التاريخي نبذة عامة حول موريتانيا قبيل الاحتلال الفرنسي تحدثنا فيه التسميات التي عرفتها موريتانيا وعن موقعها ومساحتها وبعض تضاريسها والديموغرافيا فيها وأبرز الأوضاع التي عاشتها قبيل الاحتلال.

وعالج الفصل الأول الاحتلال الفرنسي لموريتانيا أين عرضنا في المبحث الأول أسباب الاحتلال أما المبحث الثاني فخصصناه لمراحل هذا الاحتلال وفي المبحث الثالث عن سياسة فرنسا في موريتانيا

وتطرقنا في الفصل الثاني إلى المقاومة الثقافية والدينية في موريتانيا ضد الاحتلال الفرنسي، بمعرفة دور المجتمع والنخب السياسية في المقاومة الثقافية في المبحث الأول، أما المبحث الثاني فكان حول المقاومة الدينية وركزنا فيه على المحاضر وأبرز شيوخها وأثرها في المقاومة الدينية

وأنهينا بحثا بخاتمة عرضنا فيها أهم الاستنتاجات التي ألمت بجوانب الموضوع إلى جانب ملاحق مدعمة للبحث.

المصادر والمراجع:

اعتمدنا في دراستنا هذه على مجموعة من المصادر والمراجع المتنوعة:

أولا: المصادر

هي في أغلبها عبارة عن مذكرات كتبها عسكريون فرنسيون وباحثون بعد أن قاموا بجمعها وتحقيقها، ولها علاقة بالفترة المدروسة ومن بينها والتي اعتمدنا عليها في دراستنا للموضوع كتاب للرائد الفرنسي "جلييه"، المعنون بالتوغل في موريتانيا .... اكتشافات ... استكشافات... غزو..

ورغم كونه يميل نوعاً ما إلى سرد الأحداث من وجهة فرنسية إلا أنه يعتبر مصدراً مهماً، حيث قدم لنا الكثير من المعلومات الموضوعية.

بالإضافة إلى مصادر أخرى ككتاب الوسيط في تراجم أدباء شنقيط" للشنقيطي أحمد بن الأمين"، وكتاب" موريتانيا 1903-1911 للقائد افر" ريجان" الذي يروي تاريخ موريتانيا منذ دخول الاستعمار في سنواته الأولى، وهو مصدراً مهماً نظراً لأن مؤلفه كان من بين القادة الفرنسيين الذين شجعوا السلطات الفرنسية في دخول واستعمار موريتانيا، ومصادر أخرى سيأتي ذكرها.

ثانيا: المراجع

نذكر من المراجع التي اعتمدنا عليها في هذا البحث: كتاب بلاد شنقيط المنارة والرباط " "للخليل النحوي"، الذي استفدنا منه كثيراً في التعرف على المحاضر كجامعات بدوية متنقلة، واستفدنا بشكل كبير على بعض الرسائل الجامعية على سبيل المثال لا الحصر أطروحة الدكتوراه من جامعة القاهرة "لعلى سلمان البدوي" بعنوان "الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا (1903_1960)

صعوبات البحث:

لا شك أن انجاز أي بحث تكون مادته متناثرة هنا وهناك؛ وفي المكتبات وبعد المسافة عن بعضها البعض، ما يجعل الباحث يسخر كافة إمكانياته المادية والفكرية من أجل جمع المعلومة من المصادر والمراجع، لذا فأغلب العقبات التي واجهتنا تخص المادة العلمية منها:

- قلة المراجع العربية التي تتناول هذه الدراسة، وإن وجدت فهي دراسات موضوعية تتناول الموضوع بصفة سطحية.
- جل المراجع منقولة عن مصادر فرنسية مثل الرائد جيليه، الرائد افر ريجان، بول مارتي وغيرهم.
- صعوبة الوصول إلى بعض المراجع المتعلقة بالموضوع بسبب قلتها الشديدة في المكتبات الجزائرية

ورغم كل هذه الصعوبات إلا أننا بذلنا كل طاقتنا قصد الإلمام بالموضوع ودراسته دراسة علمية حتى يبلغ الشكل الذي نريد، راجين من المولى عز وجل أن تكون قد وفقنا في انجاز هذا البحث بتقديم إضافة علمية وموضوعية جديدة.

مدخل تاريخي

نبذة عن موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي

- **أولا:** موريتانيا بين الجغرافيا والتاريخ.

- **ثانيا:** أوضاع موريتانيا قبيل الاحتلال الفرنسي.

أولا: موريتانيا بين الجغرافيا والتاريخ

1) أصل تسمية موريتانيا:

عرفت بلاد شنقيط بأسماء متعددة تحيل على حقب وعهود تاريخية مختلفة وتقع على مناطق غير متطابقة، ما فتئ وتضيق عبر العصور وكانت موريتانيا تعرف في تاريخ بأسماء عديدة منها:

صحراء الملثمين، بلاد التكرور، بلاد المغافرة بلاد الشنقيط، أرض البيضان، موريتانيا [1]

أ- صحراء الملثمين:

نسبة إلى اللثام الذي كان يلبسوه الصنهاجيون[2] المقيمون بالصحراء، ولذلك غلب عليهم اسم الملثمين ونسبت إليهم الأرض، فسميت صحراء الملثمين.

ب- بلاد التكرور:

نسبة إلى أول مملكة إسلامية في السودان الإفريقي (432) هجري/ 1040م). وقد سميت المملكة الإسلامية ببلاد التكرور وقد تحالفت الدولة التكرور الإسلامية مع المرابطين في الصحراء (448 هـ / 1057م). وقد أختلف المؤرخون في تحديد هذه المنطقة التكرور والتي هي في الأصل تسمية أطلقت على مدينة في منطقة بين حوض نهر السنغال[3] ونمر النيجر ومنطقة ولاته، إلا أن البعض يرى أنها إقليم واسع ممتد شرقا إلى مالي وغربا إلى تمر السنغال وجنوبا إلى أعالي نهر السنغال أو النيجر وشمالا إلى أدرار. [4]

---

[1] الخليل النحوي: **بلاد شنقيط المنارة والرباط – عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر)**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987، ص 18.

[2] **الصنهاجيون:** نسبة إلى صنهاجة، تعريب للفظ الأمازيغي: إزناكن وهم مع مصمودة: إمضونن، زناتة: إزنائن وهؤلاء هم المجموعات القبلية الكبرى في المغرب العربي، وإزناكن تعني خيام القوم الذين يقومون بالغارات، ويمارس هذا النشاط عند رجل الصحراء. أنظر الشيخ موسى كمرا، **تاريخ قبائل البيضان عرب الصحراء الكبرى** تح: حماه الله ولد السالم دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2009، ص 22.

[3] **نهر السنغال:** يعرف بنهر زناقية ونهر صنهاجة، وهو نهر يجري في أقصى غرب القرة الإفريقية يمتد حوض النهر الذي ينبع من هضبة فوتا جالو في غينيا عبر أربعة دول إفريقية وهي: غينيا، مالي السنغال موريتانيا، ويصب بالقرب من مدينة سانت لويس في المحيط الأطلسي طوله يبلغ حوالي 1790 كلم، ينظر عبد الأمير عباس الحيالي **أبعاد الصراع الموريتاني السنغالي في حوض نهر السنغال**، مجلة الفتح، كلية التربية والعلوم الإنسانية ع 34، العراق، 2008، ص 02.

[4] المختار ولد حامد: **حياة موريتانيا – الجغرافية –** ، منشورات معهد الدراسات الافريقية، 1994، ص 09.

ج-بلاد المغافرة:

لم تشتهر البلاد بهذا الاسم، وإنما نعتها به بعض مؤلفيها مثل سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم ومحمد قال بن بابا.

وتحيل هذه التسمية إلى عهد تاريخي متأخر، فمعلوم أن المغافرة[1] ، هم بطون من بني حسان نزحت إلى بلاد شنقيط ضمن الموجات العربية التي دخلت البلاد بين القرنين السابع والتاسع للهجري[2]. وقد ملأت هذه القبائل المهاجرة جزءا من الفراغ السياسي الكبير الذي تركته دولة المرابطين.[3]

د- بلاد الشنقيط:

هو اسم المدينة واحدة في الأصل وليس اسما لمنطقة واسعة وهو مشتق من اللغة البربرية ويعني أبار الخيل[4] فاصله "شين قدو" حيث "شين" تعني فرس و "قدو" تعني رباطا للجيوش التي تتقدم من الشمال لفتح السودان أو أنها كانت محطة للقوافل التجارية التي كانت تجوب الصحراء، وقد تأسست في القرن السابع للهجرة عندما اتفقت بعض القبائل الموريتانية على بناء عاصمة تكون بمثابة سوق تجارية وأدبية، نسبة إلى مدينة الشنقيط التي كانت تعتبر عاصمة للعلم والمنطلق للحجيج ، كانت تعيش في موريتانيا منذ القديم جماعات بشرية مختلفة كالزنوج وقبائل صنهاجة وقبائل بافور ذات الأصول البربرية ، وقد نزحت القبائل السوداء في اتجاه الجنوب عبر القرون مع توسع المنطقة الصحراوية من البلاد و وتلاشت قبائل بافور بسبب الحروب والنزوح والانصهار في القبائل الصنهاجية ، أما صنهاجة فقد ظلت سيطرتهم تتسع في البلاد إلى أن بدأت القبائل المهاجرة من الجزيرة تنتشر في الصحراء ومنها على ضفف السنغال. [5]

---

[1] الخليل النحوي: المصدر السابق، ص21.

[2] أحمد بن الأمين الشنقيطي: **الوسيط في التراجم آداب الشنقيطي، مطبعة حارة الروم**، بيروت، 2004، ص 358.

[3] الخليل النحوي: المصدر السابق، ص21.

[4] محمد ناصر العبودي: **إطلالة على موريتانيا**، دار المريخ للنشر، الرياض، 1998، ص 18.

[5] أحمد اسماعيل راشد: **تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر**، دار النهضة العربية، لبنان، 2004، ص 236.

هـ- أرض البيضان:

يطلق كذلك اسم البيضان على السكان الموريتاني، وهي كلمة في اللهجة الحسانية ترمز إلى البيض إشارة منهم إلى السكان دو البشرة الفاتحة من شعوب الصحراء الكبيرة ويذكر البكري في القرن الخامس الهجري مصطلح البيضان إشارة إلى مكان الصحراء من الصنهاجة القاطنين حول مدينة أو دغست [1]، لكن المصطلح صار منذ القرن 17م علما على مجموعات الصحراوية التي تحدثت اللهجة الحسانية وتعود اصولها لاندماج الكتلة الصنهاجية والمجموعات العربية الحسانية ولغير الحسانية[2].

و-موريتانيا:

هي تسمية أوربية أجنبية. وأول من أطلق هذه التسمية هو (كابولاني)[3] ، قال بعض العلماء المؤرخين: انها مؤلفة من كلمتي (مور) و (ثانيا)، فالمور هم سكان شمال إفريقيا ومنهم المسلمون الذين فتحوا الأندلس، و(ثانيا) معناه: الخيام – جمع خيمة – أصلها (ثانت) أضيفت إليها (باء) كالموجودة في بريطانيا وإسبانيا، وذكر بعضهم في تأصيل هذه التسمية أن موريتانيا

[1] **أودغست:** عاصمة دولة صنهاجة قبل المرابطين، تقع أطلالها اليوم على بعد 37 كم شمال شرق تلمشكط ولاية الحوض الغربي الشنقيط وهي مدينة كبيرة بها مساجد كثيرة يدرس فيها القرآن الكريم، ازدهرت التجارة في مدينة في ق 10 م وتميزت بقوة علاقتها التجارية، يعود سبب اندثار هذه المدينة إلى تدهور الأوضاع المناخية في المنطقة وانخفاض مستوى المياه، ينظر محجوب ولد بيه، مرجع سابق، ص ص 42، 41.

[2] صابر نور الدين: **الدور الاستعماري لكزافيي كبولاني في الجزائر وموريتانيا 1866 – 1905**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تلمسان، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2017–2018، ص ص 130–131.

[3] **كزافيه كوبولاني** ولد في 1866م بكورسيكا وذلك قبل أن ينتقل مع افراد اسرته للاستيطان بالجزائر وسكن بها والتي زاول فيها تعليمه مما مكنه من اتقان اللغة العربية الشيء الذي جعله يعكف على دراسة الدين الإسلامي والتأثير الروحي لبعض المذاهب الدينية وقد بدا حياته المهنية ككاتب مراسل بمقاطعة قسنطينة بالجزائر قبل أن يعين بعد ذلك كاتبا لبلدية الشرق بداية من 1885م وذلك قبل أن يتم الحاقه بالحكومة العامة لمنطقة غرب افريقيا بداية من 1895م وعين إداريا مساعدا في 1896م و هو دبلوماسي فرنسي محنك ومستشرق متضلع من اللغة العربية واللهجات المحلية في موريتانيا، وخصوصا اللهجة الحسانية أوفدته الحكومة الفرنسية في النصف الثاني من ثمانينات القرن التاسع عشر الى موريتانيا للقيام بدراسة ميدانية تمهد الطريق للاستعمار المباشر وقدم كوبولاني دراسته مرفقة باقتراح إنشاء موريتانيا الغربية تحت لواء فرنسا تتخذ فيما بعد قاعدة للتوسع الفرنسي في بلاد المغرب وقد أيدت لجنة افريقيا الفرنسية التي تأسست في 1890 في باريس ذلك الاقتراح، وتحمس له رئيس الحكومة فالديك روسو وفي 1899 صدر قرار حكومي يقر تلك الفكرة وينص على إقامة موريتانيا الغربية وينظم مختلف مناطقها الإدارية ، أدب ولد سيدا محمد مشروع احتلال موريتانيا، **مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية موريتانيا** ،ع 04 ،2020، ص2 ، أنظر الملحق رقم 1 ص 66.

تتألف من كلمة (موروس) في اللغة اليونانية بمعنى الأسمر أو السمر، و(ثانيا) اللاتينية التي تدل على الأرض أو البلاد. ويكون معنى بلاد السمرة[1].

2) الموقع والمساحة:

تقع موريتانيا جغرافيا في الجزء الشمال الغربي لقارة إفريقيا وفي الزاوية الجنوبية الغربية من الوطن العربي من الغرب المحيط الأطلسي حيث يحدها من الشمال الصحراء الغربية من الشمال الشرقي الجزائر من الشرق مالي أي تقع في الجزء الغربي من الصحراء الكبرى التي تفصل إفريقيا الشمالية أما موقعها فلكيا فتمتد موريتانيا بين خطي طول 5 و 17 درجة غرباً، في خط التماس بين الصحراء والساحل حيث نقطه التقاء الحدود الموريتانية السنغالية المالية ودائرتي عرض 15 و27 درجة شمالاً حيث نقطة التقاء الحدود الموريتانية الجزائرية المغربية مع حدود الصحراء الغربية .

وتنفرد بموقع جيو– استراتيجي مميز، حيث تشكل نقطة التقاء وجسر عبور بين إفريقيا؛ شمال وجنوب الصحراء الكبرى، ومحطة على الخطوط البحرية بين الشرق الأوسط وغرب إفريقيا، كما أنها بوابة طبيعية لإفريقيا نحو أوروبا[2] .

تشغل موريتانيا الجزء الغربي من الصحراء الكبرى التي تمتد حزاما بين بلاد السودان والبلاد المغربية، وتتناثر على رقعتيها مناطق جبلية أشبه بمضاب متسعة.

أما فيما يخص مساحة موريتانيا الكلية 1030700 كلم مربع أي ما يعادل بالميل المربع حوالي 397953 ميلا مربع حيث تقدر مساحة الأرض 1030400 كلم مربع ما يعادل 397837 ميلا مربع

حدود موريتانيا مع الدول المجاورة هي من نتاج الاستعمار الفرنسي، إذ تم ضبط الحدود مع الصحراء الغربية ضمن المعاهدة بين فرنسا واسبانيا عام 1900م، ومع الجزائر عام 1905م، وتم تعديل الحدود مع دولة مالي عام 1944م، اما الحدود مع السنغال فقد تم تعديلها مرات عدة.

[1] محمد ناصر العبودي: المرجع السابق، ص 18.

[2] وزارة الشؤون الخارجية الموريتانية، "**تعريف بموريتانيا**"، 2022، الموقع الرسمي للوزارة، تاريخ الاطلاع: 12 ماي 2026 ،أنظر الملحق رقم 2 ص 67.

وتقدر حدودها مع جارتها الجزائر بطول 463 كلم ومع مالي 2237 كلم ونحو السنغال تقدر ب 813 كيلو متر مع الصحراء الغربية بنسبه 1561 كلم: مجموع حدودها مع جيرانها الدول 5074 كيلومتر. أما بخصوص الطابع الطوبوغرافيا فمعظم أراضيها قاحلة وصحراء إلا في وسط البلاد هناك بعض الهضاب.

أما فيما يخص مناخ موريتانيا يعبر عن طبيعتها الصحراوية فهو حار وجاف بشكل دائم مع نسيم من جهة السواحل حيث تتراوح حرارتها ما بين 28-43، والأمطار قليلة بسبب مناخها رغم وقوع أمطار على ساحل المحيط الأطلسي وصحراءها أكثر ازدهار من شمالها، فأمطارها تنزل صيفا على وجهه العموم.

وأما ما يخص طبيعتها المناخية فتنقسم إلى أربع مناطق:

المنطقة الساحلية في الغرب تمتاز هذه المنطقة بانتشار الوديان وسلاسل الكثبان الرملية وهي تمتد من الصحراء الغربية شمالا إلى غاية نهر السنغال جنوبا.

المنطقة الصحراوية الشرقية وتشمل السهول الشمالية وشمال السهول الغربية وهي امتداد للصحراء الكبرى وتتميز هذه المنطقة بندرة في كمية الأمطار مما أثر سلبا من الناحية الاجتماعية للسكان.

منطقة الهضاب في الشمال والوسط وهي عبارة عن أراضي صخرية ومرتفعات تمتد من الشمال الشرقي في الجنوب الغربي، وبها مجموعات جبلية كالحنك وإدرار تكانت وعصابة، المنطقة الجنوبية تمتاز بالخصوبة ووفرة المياه وبدرجات حرارة متفاوتة، وتكون في الصيف درجة حرارة ما بين 40-55، وما يميزها كذلك بها أهم التجمعات السكانية.[1]

3) اللغة:

يتكلم سكانها، إلى جانب اللغة العربية اللغة الفرنسية التي تعتبر اللغة الرسمية الثانية في البلاد. ويدين معظم السكان بالإسلام ويتبعون المذهب المالكي واللهجات الإفريقية المحلية كالتكرور والسنويتكه او السراكولي ولهجة الوولف، ولقد ادى رفض القبائل تعربيها إلى عرقلة حركة التعريب[2].

[1] وزارة الشؤون الخارجية الموريتانية، المرجع السابق .

[2] عاطف عيد: **قصة وتاريخ الحضارات العربية**، ط 1،لبنان، 2004، ص159.

4) الديموغرافيا:

يبلغ عدد السكان الحالي لـ موريتانيا 5,444,012 نسمة حتى تاريخ الثلاثاء 12 ماي 2026، بناءً على تفصيلات Worldometer لأحدث بيانات الأمم المتحدة، وهو بذلك يعادل 0.066% من إجمالي سكان العالم.[1]

5) أصل سكان موريتانيا:

الشعب الموريتاني خليط من العرب والبربر والمستعربين والزنوج، وقد امتزج الجنس العربي مع الجنس البربري ومن العصب التمييز بينهما، فسكان موريتانيا مسلمون ويذهب البعض إلى اعتبار سكان موريتانيا من سلالة خاصة من السلالات الإفريقية تسمى المورس"، وبشكل عام فإن سكان موريتانيا ينتمون إلى الجنس القوقازي ويرجع الموريتانيون من حيث أعراقهم إلى ثلاثة عروق:

الزنوج: وهم سكان موريتانيا الأقدمون ومن بقاياهم القديمة "الحراثون."

صنهاجة: وهم البربر المستعربون.

العرب: وهم أحفاد حمير جاءوا إلى موريتانيا أثناء الفتح الإسلامي ويسمى العرفان الأحيان (صنهاجة والعرب) البيضان تمييزا لهم عن الزنوج، وعلى أكتاف البيضان قامت دولة المرابطين[2].

أ- **الزنوج:**

ويطلق عليهم محليا السودان، ويمثل البيضان الأغلبية بنسبة 80 % وينقسمون إلى عدد كبير من القبائل إلى حد يستحيل معه تمييز بعضها عن البعض الآخر، وأما الزنوج فيمثلون أقلية بنسبة 20 %وينقسمون إلى ثلاثة فروع هي:

التكارير، والسراكول، وولف، ولكل واحد منهم لغة خاصة به[3].

والواقع أن هذا الشعب بصفة عامة ينتظم بشكل تقليدي في قبائل متميزة: اجتماعيا، وحرفيا ويغلب عليه الطابع القبلي بكل مظاهره، سواء من ذلك ما تفرضه طبيعة البلاد التي تقوم على

---

[1] بيانات الأمم المتحدة:https://2u.pw/xlR8S1

[2] عاطف عيد: المرجع السابق، ص160.

[3] الفوزان بن عبد الرحمن فوزان: **الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي**، جامعة الإمام محمد بن السعود الإسلامية، ط1، المملكة العربية السعودية، مج 14 ،1999، ص543.

التنقل، والترحال، وانتجاع أطراف الصحراء، طلبا للماء والكلأ، أو من حيث العلاقات بين طبقات المجتمع التي أبرزتها الحروب التي كانت تشتعل نارها من حين لآخر.

ويقوم البناء الاجتماعي القبلي في هذا الشعب على أسس أهمها: وحدة الدم، ووحدة الجماعة.[1]

ب- العرب (حسان)

وهي الطبقة العليا في السلم الاجتماعي، وأعضاؤها هم أهل الشوكة حياتهم تقوم على الغزو والحرب، ويعشون من الغزو والمغارم التي يفرضونها على الأتباع والأغفار التي يأخذونها من قبائل الزوايا التي تقوم بتجارة القوافل. وينحدرون من أصول مختلفة، أغلبها من أصل قبائل بني حسان العربية التي جاءت مع الهجرة الهلالية، ودخلت موريتانيا منذ القرن 8هـ /14م على الأقل والبعض الآخر من أصول قبائل صنهاجة التي ظلت مستقلة وذات نزعة حربية[2].

ثانيا: أوضاع موريتانيا قبيل الاحتلال الفرنسي.

عاشت موريتانيا فترة طويلة من تاريخها ابتداء من القرن الثاني عشر الميلادي وحتى نهاية القرن التاسع عشر تحت تأثير مجموعة من العوامل التي فرضت عليها نوعا من الانعزال والانغلاق مما حرمها من التفاعل والتأثر بما حولها.

فعلى الصعيد الاجتماعي، كان المجتمع الموريتاني قبليا بطابعه، يتكون من تشكيلات إثنية متنوعة وطبقات اجتماعية متمايزة، تحكمها الأعراف والتقاليد، وتسودها الروابط القبلية والسلطة الأبوية. أما من الناحية الاقتصادية، فقد اعتمد السكان على أنشطة تقليدية كالزراعة المحدودة، وتربية المواشي، والتجارة عبر القوافل، خاصة تجارة الصمغ العربي والملح، دون أن تتطور إلى اقتصاد مركزي منظم.[3]

وعلى الصعيد العسكري، لم تكن هناك مؤسسة عسكرية موحدة، بل اقتصرت القوة على المحاربين المحليين التابعين للقبائل والإمارات، وكان دورهم مقتصرا على الدفاع عن المصالح القبلية وخوض النزاعات المحلية.

---

[1] الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين: **السلافية واعلامها في موريتانيا (الشنقيطي)**، دار ابن الحزم، بيروت، ط1، 1995، ص78.

[2] حماه الله ولد السالم: **تاريخ بلاد شنكيطي "موريتانيا "**، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، 2010، ص 14.

[3] علي بدوي سالمان: **الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا (1903) (1960)**، مذكرة ماجستير تخصص تاريخ معاصر، جامعة القاهرة، 2003، ص 40.

ومن هذه العوامل:

1 –عدم وجود سلطة مركزية تضبط حدود البلاد الموريتانية بشكل دقيق نظرا التوزيع البلاد السياسي بين خمس امارات محلية، شكلت كل منها على نظام سياسي له حوزته الجغرافية شبه المتعارف عليها.

2 –تعدد المؤسسات الأهلية وضعفها وانغلاق كل منها على ذاتها انغلاقا اجتماعيا ووظيفيا شبه راكد.

3 – قلة الاتصال بالعالم الخارجي بشكل قوي لا يسمح بالاستفادة من المتغيرات الخارجية. [1]

ونظرا لهذه العوامل ظلت موريتانيا بعيدة عن التأثيرات التي توقظ الشعور الوطني أو التي تسمح لمفهوم القضية الوطنية بالنضج ولقد ظل تعدد الولاءات هو العائق الكبير امام انتعاش الشعور بالحس الوطني فالأمير لا يهمه إلا مجال امارته الجغرافي وشيخ الطريقة الصوفية لا يعتني الا بالأفراد المتصوفين تحت لواء طريقته أو المتعاطفين معها، كذلك شيخ القبيلة كان اهتمامه منصبا على افراد قبيلته خاصة منهم أولئك الذين يدينون له بالولاء ويستفيد من خدماتهم ولقد ظلت هذه المؤسسات الأهلية (شيوخ الطرق شيوخ القبائل الأمراء) تحكم علاقاتها النسبية المصالح الآنية والتي تركي في نفس الوقت الصراعات فيما بينها وداخل كل مؤسسة منها على حدة .

وبقي الولاء الإسلامي الذي يفتقر الى قطب يوحد جهود هذه المؤسسات أو يطودها أو تستمد منه شرعية ممارستها، هذا الافتقار والفراغ هو ما ستحاول الطرق الصوفية سده في فترات متأخرة كنوع من البحث على الشرعية الزمنية والروحية لتوحيد الجهود المحلية في وجه الهيمنة الفرنسية تحت شعار الجهاد الإسلامي خاصة بعدما فشلت جهود الدفاع عن الامارات نظرا للاستهلاك من قبل في المواجهات مع الامارات الأخرى[2].

[1] يحي أبو زكريا: **موريتانيا المسلمة بين الإسلام والتغريب**، دار ناشري، الكويت، 2003، ص 99.

[2] علي سالمان: المرجع السابق، ص 40.

خلاصة الفصل التاريخي:

يتناول الفصل مسألة موريتانيا من زاوية جغرافية وتاريخية مبرزًا تعدد أسمائها عبر العصور باعتبارها انعكاسًا لتحولات تاريخية وثقافية متعاقبة، ، كما يبرز الفصل الموقع الجغرافي الاستراتيجي للبلاد في شمال غرب إفريقيا باعتبارها حلقة وصل بين شمال القارة وجنوبها وبين العالم العربي وإفريقيا، وما تتميز به من مساحة شاسعة يغلب عليها الطابع الصحراوي مع تنوع تضاريسي ومناخي بين السواحل والهضاب والجنوب الخصيب، وهو ما انعكس على أنماط العيش التقليدية للسكان، ويعرض كذلك الخصائص اللغوية والديموغرافية حيث يشكل المجتمع الموريتاني مزيجًا من العرب والبربر والزنوج في إطار بنية قبلية يغلب عليها التداخل والتمازج، مع هيمنة الثقافة العربية الإسلامية واللغة العربية إلى جانب حضور الفرنسية ولهجات محلية، و أن هذا المجتمع كان منظمًا وفق تراتبية قبلية واجتماعية واضحة تقوم على الروابط العصبية ووحدة الدم، حيث تميزت فئات مثل العرب الحسان بدور عسكري مهيمن مقابل فئات أخرى ذات وظائف اقتصادية أو دينية، كما يوضح أن موريتانيا قبيل الاحتلال الفرنسي كانت تعيش حالة من الانعزال النسبي سياسيًا واقتصاديًا نتيجة غياب سلطة مركزية وتعدد الإمارات وضعف المؤسسات وانغلاقها، واعتماد الاقتصاد على أنشطة تقليدية محدودة، وافتقار البلاد إلى جيش موحد الأمر الذي خلق بيئة مفككة يسهل اختراقها، في حين حاولت الطرق الصوفية لاحقًا ملء هذا الفراغ وتوحيد الجهود في مواجهة التغلغل الاستعماري تحت راية الجهاد، لكن ذلك جاء في سياق متأخر بعد أن مهدت تلك الأوضاع الطريق أمام التدخل الفرنسي.

الفصل الأول

الاحتلال الفرنسي لموريتانيا وسياسته

- **أولا:** أسباب الاحتلال الفرنسي لموريتانيا.

- **ثانيا:** مراحل احتلال الفرنسي بموريتانيا.

- **ثالثا:** السياسة الفرنسية في موريتانيا

أولا: أسباب الاحتلال الفرنسي لموريتانيا

يعد مشروع موريتانيا الحلم الذي شغل مساحة كبيرة في الدبلوماسية الفرنسية حيث كانت فرنسا الاستعمارية تعمل على تكوين إمبراطورية استعمارية كبرى في شمال وغرب إفريقيا ولم يتم ذلك إلا بالاحتلال موريتانيا التي تمثل حلقة وصل أساسية بين الطرفين. [1]

وتتطلب دراسة مشروع احتلال موريتانيا منا أن نعطي في البداية لمحة موجزة عن كوبولاني ذلك الرجل الذي تجمع أغلب الدراسات المعاصرة بأنه هو الشخصية الاستعمارية التي تزعمت دخول الاستعمار الفرنسي هذه البلاد وتعزيز النفوذ الفرنسي في موريتانيا دون الرجوع إلى الأعمال الرجال ونشاطاته التي كانت تستهدف تهيئة المجال الاستعماري شمولي لبلاد موريتانيا أخذ طابعا سلميا في الرحلة الأولي وطابعا عسكريا في المرحلة الثانية حيث ضروري تجسيد مشروع موريتانيا الغربية والتي تشمل المناطق الممتدة من الضفة اليمني لنهر السنغال والمناطق الواقعة من خايو تمبكتو حتى رأس جيبي غربا وصولا إلى تخوم المغرب وجنوب الجزائر في السنغال . [2]

وقد تبنت وزارة المستعمرات الفرنسية هذا الاقتراح فأصدرت قرارا في 27 ديسمبر 1899 لدعم المشروع الفرنسي لتنظيم قبائل البيضان تحت حكم سياسي [3]

وتبيان السياسة التي ينبغي انتهاجها في الصحراء الغربية، ولقد انتهج كوبولاني سياسة تصب في اتجاه يقوم على أساس التفاهم مع أمراء القبائل حيث بدأ اتصالاته مع المشايخ الدينين أكثر نفوذا أمثال الشيخ سيديا والشيخ سعد بوه والشيخ سليمان.

وحاول كوبولاني إقناع حكومته بخريطة موريتانيا الغربية وتمكن من الحصول على دعم من طرف رئيس المجلس فالديك روسو الذي صادق على ذلك المشروع 27 – 12 –1899م والتي حددت بها الأراضي الممتدة من الضفة اليمنى لنهر السنغال والمناطق الواقعة بين خايو تمبكتو حتى رأس جوبي غربا، وأكد وزير المستعمرات على أن هذه المناطق المشكلة الموريتانيا الغربية ستوضع سياسيا تحت سلطة كوبولاني، لكن الحاكم العام رفض هذا الموضوع رفضا تاما بسبب الضغوطات التي كان يتعرض لها من تجار سان لويس وداكا ،

[1] علي سالمان: المرجع السابق، ص 49.

[2] ولد صدفن محمد الراضي: **السياسة الاستعمارية في موريتانيا وأثرها على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية 1900– 1969**، الطبعة الوطنية، بيروت، 1981، ص 53.

[3] جلامة عبد الوحيد: **ملخص تاريخ موريتانيا المعاصر**، مستوى أولى ماستر، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2020، ص 4.

أما وزير الشؤون الخارجية دلكاسي فقد أبدى تحفظا حول هذه الفكرة لأن بريطانيا واسبانيا كانتا تطالبان بحقوقهما في هذه الأراضي وهو ما يمكن اعتباره احد المعوقات الأساسية للمشروع الذي كان يتأرجح بين القبول والرفض[1].

وكانت وزارة الخارجية الفرنسية تعترض على المشروع متذرعة بأنه قد يسئ إلى سياستها الخارجية وذلك بالحرج الذي يقضي إليه في علاقتها مع إسبانيا وبريطانيا التي كانت فرنسا ترغب في ودها بهدف إحراز النصر في معركتها الدبلوماسية.

ولقد أدرك كوبولاني مصالح الدول، الإدارات والتجارة في مستعمرة السنغال فراجع مشروعه إلى أصبح يقتصر على سهل موريتانيا، وعلى إثر ذلك تشكلت لجنة وزارة في 6 جويلية 1901 من طرف رئيس المجلس الإعادة النظر في السياسة الخاصة بأرض موريتانيا وبالتحديد النظر في قضية الجزائر وإفريقيا الغربية الفرنسية سواء من حيث العلاقة بين المنطقتين أو من منظور الدول الأجنبية المجاورة. [2]

فاجتمعت اللجنة الأولى مرة في 24 أكتوبر 1901م وكانت تضم وزراء الداخلية والشؤون الخارجية مفوض والمستعمرات الحاكم العامين الجزائر وإفريقيا الغربية الفرنسية رئيس مكتب الجزائر لوزارة الداخلية والموظف المكلف بتنظيم موريتانيا كوبولاني قدمت اللجنة تقريرا في مارس 1902م توضح فيه بإيعاز من كوبولاني إن المستوى الثقافي الفكري للموريتانيين يفوق ما هو عليه في إفريقيا الشمالية الإضافة إلى تعلقهم بدينهم وعاداتهم، وعليه أوصت اللجنة بأن يكون الاحتلال سلما وبالتدرج وإذا العرض أنشئت المصلحة الخاصة بشؤون الموريتانيين وأسندت مسؤوليتها إلى كوبولاني وتم تعيينه أمينا عامل المستعمرات قبل الالتحاق بسان لويس في أكتوبر 1902م بصفته مفوض عامل على موريتانيا. [3]

تمكن كوبولاني من تحقيق مشروعه والوصول إلى مبتغاه من خلال مكره وخداعه ويفضل هذه الصفات حقق لفرنسا ما كنت تصبوا إليه دون جهد عسكري وحتى تحقق فرنسا أطماعها في الاحتلال اتخذت عدة وسائل منها: [4]

المرونة في المواقف وسياسة التغلغل في البيان الاجتماعي والسياسي للمجتمع البيضاني.

---

[1] حمداني نعيمة – بن سهيل عائشة: **ظهور الحركة الوطنية الموريتانية وتطورها 1903**–1960، مذكرة ماستر تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر، جامعة تيارت ،2021، ص 28.

[2] الرائد جليه: **التوغل في موريتانيا اكتشافات – استكشافات – غزو**، تر ولد حمن، دار الضياء، الكويت، 2009، ص 133.

[3] حمداني نعيمة – بن سهيل عائشة: المرجع السابق، ص30.

[4] علي سالمان: المرجع السابق، ص 54.

سياسة فرق تسد والتي شرعتها الوضعية الاجتماعية والسياسة في البلاد، إذ كان الخلافات والصراعات الاجتماعية مما كان ذلك تأثره في إنهاك القوي النشطة في المجتمع وضعف مردوده الجهادي وذلك كله غزو من مواقع المستعمر ومهد له الطريق لتثبيت أقدامه في المنطقة.

ولقد كانت موريتانيا تعرف وضعا سياسيا واجتماعيا متأزما وهو بمثابة أسباب ساعدت فرنسا احتلالها من بينها:

أ – الأسباب الداخلية:

عدم وجود سلطة مركزية تضبط حدود البلاد الموريتانية.

توزيع الإمارات في التراب البيضاني أخذ التفوق العسكري لبعض القبائل الحسانية يظهر التبلور وتنظيم الأميري الذي ظهر بعد حرب شربية 1681– 1688م في الجنوب الغربي الموريتاني بين الزعامات المعرفية في الترارزة والبراكنة توزيع القبائل إلى منطقتين:

المنطقة الأولى: الواقعة شرق الوادي الأبيض والتي تعرف الاستقرار الضروري للقيام سياسي بسبب تحديد السكان فيها.[1]

المنطقة الثانية: تضم منطقة القبلة وأدرار وتكانت والتي تغيرت خريطتها من جراء الهجرات فيها سلطة الإمارات حيث عرفت خلال القرن التاسع عشر صراعات قوية وهذا ما أضعف قوتها وأدخلها في نزاعات داخلية وأصبحت المهمة سهلة على فرنسا.

عدم اتصال موريتانيا بالعالم الخارجي بشكل قوي وهذا مالا يسمح لها بالاستفادة المتغيرات الخارجية.[2]

ب– الأسباب الخارجية:

محاولة بريطانيا من نفوذها إلى داخل موريتانيا عبر الاتفاقيات والمعاهدات مع بعض القبائل لبناء المساكن والمستودعات التجارية وهذا ما آثار حفيظة فرنسا وظهرت خلافات بين الدولتين. استمرت إلى غاية 1904م حيث تم عقد اتفاق بينهما والذي قضى بإطلاق يد فرنسا في المغرب العربي مقابل سكوتها عن احتلال بريطانيا لمصر وهو امتداد المعاهدة برلين وهذا

[1] علي سالمان، المرجع السابق، ص 50.

[2] إسماعيل أحمد باغي، ومحمود شاكر: **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر لقارة إفريقية 1492– 1980م**، ج 2، مكتبة العبيكان، بيروت، ط3 2001، ص 22.

يعني اعتراف إنجلترا بان موريتانيا منطقة نفوذ فرنسية ولهذا اعترفت فرنسا إن الاستيلاء عليها تبعا الاتفاق لن يؤدي إلى مشاكل بينها وبين الدول الأوربية الأخرى.

رغبة فرنسا في تأمين السنغال بالاستيلاء على موريتانيا لان المعاهدات التي عقدتها مع بعض الأمراء المحلين خلال القرن التاسع عشر ميلادي لم تمنع الموريتانيين من الهجوم على المراكز التجارية الفرنسية على طول نهر السنغال، روح القومية التي ظهرت لدى الشعب الفرنسي بعد هزيمة فرنسا 1870م وفقدانها الألزاس واللورين والذي آثار مختلف الطبقات نحو إظهار أن فرنسا لازلت دولة قوية قادرة على التوسع وإكمال مهمتها الحضارية.

وفي هذا كتب أحد الاقتصاديين الفرنسيين قائلا "ينبغي أن يحتل التوسع الاستعماري المكان الأول في وعينا القومي إنها مسألة حياة أو موت لفرنسا فإما إن نستولي على مساحات إفريقية شاسعة أو نصير في مدة قرن أو قرنين دولة من الدرجة الثانية. [1]

المصالح المادية والاقتصادية التي أدت إلى تصاعد موجة الاستعمار نهاية القرن التاسع عشر ميلادي وأوائل القرن العشرين من أجل البحث عن أسواق جديدة خارج حدودها خاصة بعد الثورة الصناعية التي عرفتها أوروبا وهذا ما أكده جون فيري بقوله: "إن الاستهلاك الأوروبي قد تشبع وأنه في وسع السياسة الاستعمارية وحدها أن تجد طبقات جديدة بين المستهلكين وهي صمام الأمن ستصبح الدول الاستعمارية بدونه مهددة بالأزمات اقتصادية والاجتماعية.[2]

ومن خلال ما نص عليه مؤتمر برلين 1884_1885م بعدم فرض أية دولة على أي منطقة الحماية بدون الاحتلال فعلي بدأت فرنسا تقدمها نحو موريتانيا وأصبح من الممكن لها ربط مناطق نفوذها في السنغال بالمناطق الأخرى في حوض النيجر.[3]

وبهذه تكون رحلة كوبولاني قد نبهت الحكومة الفرنسية ووزارة المستعمرات لأهمية ضم موريتانيا وتنفيذ مشروعه بحجة حماية مصالحها التجارية في المنطقة مدعمنا بذلك قرار مؤتمر برلين. وجهزت الخطة التي ستسير عليها أثناء قيامها بعملية الاحتلال وعملت على دراستها منها أنها وضعت تقارير حول المجتمع الموريتاني لمعرفة مدى إمكانية تقبل فرنسا ولم يبقى لها سوى تنفيذ الخطة.[4]

---

[1] مفيد الزبدي: **التاريخ العربي بين الحداثة والمعاصرة**، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2011 ص 264.

[2] مفيد الزبدي، المرجع السابق، ص 264.

[3] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم شوقي الجمل: **دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث** والمعاصر، د. ط، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، 1998، ص 44.

[4] حمداني نعيمة – بن سهيل عائشة: المرجع السابق، ص32.

ثانيا: مراحل احتلال الفرنسي بموريتانيا.

من فرنسا وإسبانيا 1900م على أن تكون مناطق النفوذ الإسباني هي الصحراء الكبرى الغربية شمال الرأس الأبيض وهذا ما جعل جنوب لفرنسا وبموجب القرار الصادر في 27 12 1898م وبناء على تقرير كوبولاني الذي قدمه بعد انتهائه من مهمته قررت فرنسا احتلال موريتانيا خاصة، وإن كوبولاني كان قد عمل على توطيد علاقته مع المسلمين وبعض زعماء الطرق الصوفية وقام بالتمهيد لعملية الاحتلال التي كانت على مرحلتين وهي:

1 – مرحلة الإخضاع السلمي: احتلال الترارزة والبراكنة).

كانت بدايتها احتلال منطقة الترارزة 1903م المتاخمة للسنغال والتي كانت تعيش سلسلة الأزمات الداخلية المتمثلة في الصراع على السلطة الذي اشتد عند تولي أحمد سالم ولد على الحكم في الإمارة 1891–1905م بعد أن تخلص من عمه عمر سالم ولد محمد الحبيب وتأزم الوضع أكثر عام 1902م أو هي نفسها التي تم فيها إرسال بعثة برئاسة الرائد ديلابلان إلى الترارزة بغية تقضى الحقائق فيها وقد دخلت في علاقات مبكرة مع الأوروبيين تأرجحت بين السلم والحرب حتى الاحتلال الفرنسي لها 1905م ونجد في إمارة الترارزة القبائل المحاربة وولائها لها فضلا عن إنتاج القبائل السلالات الأمبرية.[1]

وفي ديسمبر 1902م قدم كوبولاني إلى المنطقة والتقى بأحمد سالم الذي تنازل عن العرش للسلطات الفرنسية بالسنغال وعقد اتفاقية في 7 جانفي 1903م مع سيدي بن أحمد الذي كان ينافس أحمد سالم على السلطة ونصت هذه الاتفاقية على:

قبول أولاد أحمد بن دامان الواقع الفرنسي.[2]

عدم مقاومة الوجود الفرنسي وفي المقابل يحترم كوبولاني الدين الإسلامي والعادات والتقاليد المعمول بها وقبول أولاد دامان إدارة شؤون القبيلة وفق التقاليد الأمبرية والترارزة بصفة نهائية تحت الإدارة المباشرة للسلطات الفرنسية ويرجع كوبولاني نجاحه في الترارزة إلى اعتماده على الزوايا وخاصة تحالفه مع الشخصيات الدينية ذات التأثير الروحي القوي في المنطقة مثل سعد بوه والشيخ سيد بابا حتى أن هذا الأخير وجه رسالة في 5 يناير 1903م إلى المناطق

[1] طالبة مبروكة – مولاي شهرزاد: **جوانب الحياة الاجتماعية في موريتانيا خلال الاستعمارية 1903**– 1960، مذكرة لنيل شهادة ماستر، تخصص تاريخ المعاصر، جامعة أدرار، 2019، ص 123.

[2] **أولاد أحمد بن دامان:** هم من ذرية بن مهنص أمغار على التونكلي من اتحادية الزوايا المسماة تاشمشة في ولاية الترارزة، انظر حماه الله ولد السالم: **تاريخ بلاد الشنقيطي**، ص 417.

الموريتانية على شكل فتوى يبيح فيها التعامل مع الفرنسيين. وبهذا يكون كوبولاني قد نجح في سياسة التفرقة التي اتبعها مع القبائل الحسانية وقبائل الزوايا في لأن فرنسا أرادت كسب أحد أطراف إلى جانبها لاستغلالها في حالة مقاومة الطرف الأخرى لها أثناء قيام الترارزة بعملية التوغل في الداخل في احتلال فرنسا الترارزة لم يمنع قبيلتي أولاد عبد الله في البراكنة وأودعيش[1] في تكانت من القيام بعمليات معادية للنفوذ الفرنسي من خلال ذهب القبائل الموالية لفرنسا.

ولهذا اضطر أحمد سلام إلى تحالف مع أمير أدرار وتكانت والتنسيق معهم من جديد الجمع كلمة الزعامة الدينية وتحالف أيضا مع خصمه سيدي الذين رأوا إن تحالفهم مع فرنسا أفقدهم استقلالهم وحد من منافعهم الامتناع بعض القبائل عن دفع الغرامة لهم واعلان تمردها ولأن هذا التحالف سيشكل خطرا على كوبولاني الذي عين مندوبا عاما في منطقة الترارزة، رأى أن خطواته الثانية لمواصلة نجاحه هي من الحماية إلى أعالي النهر باحتلال البراكنة والوصول في النهاية إلى داخل البلاد أي المنطقة الجبلية في تكانت. وأدرار وكانت بداية الاحتلال البراكنة في 21 مارس 1903 وتمثلت الخطوة تولى في تأسيس مركز للتموين والتزويد في بوكي.[2]

وفي ديسمبر 1903م وصل كوبولاني إلى ألاك واستقر بها وقد واجه أمير البراكنة بمساعدة الفرنسيين لمنعهم من دخول المنطقة إلا أنهم فشلوا في العديد من المواقع الحربية منها واقعة مركز ميت التي قادها أكبر بكار ولد أسويد في 27 فبراير 1904م وفقدت أمير تكانت البراكنة الكثير من أبطالها في حين قامت فرنسا بتأسيس مركز الرقبة 1904م وعينت ديرية مقيما بألاك في ماي من العام نفسه وبهذا يكون النفوذ الفرنسي قد توطد في الناحية الجنوبية الغربية من موريتانيا ليكون احتلال البراكنة تمهيدا لاحتلال تكانت وأدرار.

2 – مرحلة الإخضاع العسكري (احتلال تكانت وأدرار):

تكانت وأدرار ليكون إنجازه النهائي آخر خطوة تخضع فيها موريتانيا من الجنوب إلى الشمال للحماية الفرنسية في الوقت الذي نزلت فيه بعض قبائل الترارزة والبراكنة التي لم تخضع للسيطرة الفرنسية إلى أدرار لتنظم إلى قوى المعادية لفرنسا بقيادة و أودعيش بسبب تمرد الكثير من القبائل على سلطة أودعيش،[3] وتخاذل بعضها أخرى عن الجهاد ضد الفرنسيين ثناء حملة

[1] أودعيش: قبيلة من ذرية يحي بن عمر اللمتوني أسسوا امارة في هضبة تكانت ومن قبائلهم أهل محمد بن خونة، حماه الله ولد سالم.

[2] عفاف عباس، المرجع السابق، ص64.

[3] ولد صفدن، المرجع السابق، ص 60.

أحمد ولد سيد على التي كانت تهدف إلى تحطيم مركز ألاك وحدوث انشقاقات داخلية في صفوف القبائل تدخل كوبولاني لإخضاع تكانت ونجح في إنشاء مركز مال الذي سيكون نقطة الانطلاقة إليه .

وفي 8 أكتوبر 1904م أصدرت الحكومة الفرنسية مرسوم ينص على اعتبار موريتانيا منطقة مدينة والتخلي عن نظام الحماية فيها وتعين كوبولاني مفوضا عاما الحكومة العامة والذي قام بتجهيز حملة عسكرية لاحتلال تكانت وشجع كل من يخدمه بمنحه ميدالية عسكرية ونجحت الحملة في الفضاء على قوات أودعيش وتفريقها كما تمكنت من القضاء على أميرها بكارفي 01 ابريل 1905م إلا انه لم يقدر لكوبولاني العيش طويلا بعد موت بكار حيث تعرض الاغتيال في 12 ماي 1905م من طرف الموريتانيين ببلدية تكحكة بموريتانيا.[1]

ويرجع سبب مقتله أن بعض القوى الأجنبية وبعض تجار سان لويس السنغال كانوا منخرطين في عمليات تهريب للسلاح غير شرعية هذا إضافة إلى ضلوعهم في تجارة الرقيق ولذلك كانت تلك الأطراف ضد فرض الاستقرار والتهدئة في هذه المنطقة.[2]

انتشر خبر مقتل كوبولاني بسرعة في موريتانيا كاملة حيث ترتب عليه مباشرة نتائج خطيرة فكل القبائل التي كانت قد دخلت في محادثات من أجل إعلان الخضوع للسلطة الفرنسية بفضل مهاراته استعادت حريتها في التصرف وهناك قبائل أو قبائل سبق أو أعلنت خضوعها تمردت بعد ذلك.[3]

كما تعتبر كل من أمير أدوار ومرابط السمارة ماء العينين الذي حرض على قتل كبولاني هذا ما حدث نجاحا مهما فأصبحت ثقتهم وتصميمهم على مواجهة المقاومة أكثر حيوية وأشد دعما.

وخلف بعد ذلك كوبولاني الرائد مونتاي وقد زاد من المقاومة حماسا وقوة خصوصا على يد أمير أدرار ولد عبد والشيخ ماء العينين وقد زادت شعبية هذا الأخير في أواسط القبائل الموريتانية وفي ظل هذه الظروف الحرجة بالنسبة للفرنسين فقد أخذوا الحيطة وحصنوا مراكزهم الدفاعية وذلك لحماية المناطق المحتلة.[4]

---

[1] عائشة ناصر – فتيحة عبيدوي: المرجع السابق، ص56.

[2] الرائد جليه: المرجع السابق، ص158.

[3] صابر نور الدين: المرجع السابق، ص217.

[4] عفاف عباس، المرجع السابق، ص45.

وخلال سنة 1906م ورغم مقتل كوبولاني منظرا الحملة العسكرية على موريتانيا سيتواصل الإخضاع العسكري لباقي المناطق الموريتانية فأقامت فرنسا مركزا أكجوجت للربط بين شمال أدرار والإمارات الجنوبية وذلك بأمر من الحاكم العام لإفريقيا الغربية الفرنسي وليام بونتي[1].

3- مرحلة الخضوع (1914م -1934م):

تتسم هذه المرحلة بأنها تأمين الاحتلال وتصفية لجيوب المقاومة لاسيما الرقيبات التي التجأت إلى الصحراء الغربية التي كانت خاضعة للنفوذ الإسباني.

حيث انقسمت المقاومة الوطنية طول هذه الفترة ولاسيما من جانب قبائل الرقيبات وبن دليم وبالرغم إعلان أولاد دليم استسلامهم للنفوذ الفرنسي في عام 1918م كذلك استسلم أحد أبناء الشيخ ماء العينين 1919م إلا إن تعسف الإدارة الفرنسية وفرض الضرائب على القبائل أدى إلى حدوث واضطرابات في المنطقة لم تنقطع إلا بعد 1934م وبالاستلاء على موريتانيا حققت هدفها وحلمها وهدفها التوسعي.

تعتبر عملية غلق الحدود النهائي من ناحية الجزائر والمغرب لسنة 1932م الضربة النهائية المقاومة التي وجدت نفسها مقطوعة من كل مصادر الدعم كما أن موت سيد أحمد ولد احمد في 19 آذار 1932م حرم المقاومة من سند سياسي وقائد عسكري عمل الاستعمار الفرنسي على الصعيد الثقافي والاجتماعي في منع الاتصال الموريتاني بغيرهم من دول المغرب العربي عبر فرض قيود على قوافل الحج وحظر استيراد وتداول الصحف العربية كما حاربت اللغة العربية ومؤسستها الدينية والثقافية واستبدالها بالفرنسية عن طريق المدارس التي أنشأتها في شتى أنحاء البلاد ، وكذلك عمل المستعمر على سياسة التفرقة بين البيضان والزنوج وخلق العديد من الصراعات، ونجح المستعمر في إرساء كله الإدارية الثقافية وبسط نفوذه على ثقافة المجتمع الموريتاني والسيطرة على عقولهم [2].

وعلى الصعيد الاقتصادي استطاع المستعمر نهب كل ثروات موريتانيا وشجع الرأسمال الفرنسي الاستقلال الثروة الحيوانية، ومناجم، الملح، وفرض الضرائب ونتيجة لذلك تعرض الموريتانيون للجوع والفقرة.

[1] عفاف عباس، المرجع السابق، ص46.

[2] ولد صفدن، المرجع السابق، ص 61.

أما الصعيد السياسي قامت فرنسا بتقسيم موريتانيا إلى دوائر ومقاطعات وعمدت إلى فرض قوانين وقرارات تقيد الموريتانيين وتحرمهم من حريتهم التي كانوا يتمتعون بها كما حرمت الأهالي من تولي المناصب العليا أو شغل الوظائف الهامة في المجتمع الموريتاني.

ثالثا: السياسة الفرنسية في موريتانيا.

لقد فرضت فرنسا في سياستها الاستعمارية ما يعرف بسياسة الفرنسة أو الاندماج (assimilation)والتي تهدف إلى نشر وفرض الثقافة والتقاليد والنظم الفرنسية وتسريبها. 3 كذلك عندما توسعت فرنسا في غرب أفريقيا عملت على إدماج الأقاليم إدماجا كاملا فيها وربطها في وحدة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية واحدة،[1] وحتى تتمكن من إحكام قبضتها على منطقة وسكان موريتانيا عينت على رأس كل قبيلة رجل يدافع عن مصالح الاستعمار، كذلك عينت بعض الأشخاص ضعيفي الضمائر عرفوا محليا باسم " كميات " مهمتهم اضطهاد و انتزاع ممتلكات المواطنين إلى جانب ذلك حمايتهم العسكرية، وقد كان المستعمر يحاول من وراء هذه السياسة الخبيثة القائمة على الأعمال الوحشية اللاإنسانية من اغتصاب المحاصيل الزراعية والماشية وغيرها ويهدف إلى إدخال السكان في أحضانه لكي يزدادوا أعداء أتباعه ومنه يساعده في أعماله الاستعمارية[2] ..

إن نفوذ الاستعمار الفرنسي قد أفسد المجتمع الموريتاني وقضى على عوامل ازدهاره وحاول أن يغير صورة التاريخ من خلال تصويره بأنه كان عاملا من عوامل التنوير والثقافة والنهضة، وأدخلوا نظمهم السياسية والاجتماعية والإدارية والثقافية، وقواتهم العسكرية ومنظماتهم البشرية ووضعوا هذه البلاد تحت العزلة وقطعوا صلاتهم بالعالم الخارجي، ونهبوا ثرواتهم واستعبدوا أهلها وحاربوا الثقافة الإسلامية وفرضوا لغاتهم. ومن هنا خضعت موريتانيا للاحتلال الفرنسي في مختلف جوانب الحياة السياسية والعسكرية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية[3] .

[1] زاهر رياض، المرجع السابق، ص 121.

[2] علي سالمان ، المرجع السابق، ص ص 75 _77.

[3] أنور الجندي: **العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والثقافي**، دار الكتب اللبناني، ط2، 1983م، ص ص 153_ 157.

1 – السياسة الإدارية:

تبنت فرنسا سياسة الحكم المباشر في مستعمراتها، إلا أن هذا الأسلوب تغير في موريتانيا الذي أسس الإدارة غير المباشرة في بداية الأمر، وهذا راجع كبولاني عن طريق رؤساء القائل الكبرى كالترارزة والبراكنة وغيرها من القبائل الموريتانية، ذلك أنهم بلغ نظام القبيلة، وقام بتثبيت أمراء لم يكونوا موجودين من قبل، وبالتالي حرص على اشتراك زعماء القبائل في إدارة البلاد، إلى أن الملاحظ في المعاهدة التي عقدت عام 1903م مع الترارزة والبراكنة كانت تخضع السلطة الفعلية للأمراء، حيث نصت على أن تقوم السلطات الفرنسية بتحصيل الضرائب وتعيين القضاة وتقديم مخصصات ثابتة للأمراء مما تحصله من الضرائب [1].

تولى مونتاني (Montane) إدارة موريتانيا بعد مقتل كبولاني (Coppola ni) حيث تقطن إلى خطأ اتخاذ مواقع دفاعية ثابتة، فعول على الاستفادة من أسلوب المقاومة الموريتانية في القتال واقتبس منها ما يمكن أن يطلق عليه نظام الدفاع الايجابي الذي يعتمد على خفة الحركة وسرعة الاختفاء، ومن أهم ما قام به الفرنسيون في تلك الفترة تقسيم نفوذهم إلى دوائر ومقاطعات، وتبع هذا التقسيم التوزيع القبلي بدقة تامة حتى بقيت هذه الحدود الإدارية دون تغير يذكر على مدى نصف قرن طول فترة الاستعمار الفرنسي للبلاد[2].

وبعد استيلاء باتي (paty) على تكانت وأدرار، وضع سياسة جديدة تقوم على أساس تقسيم البلاد إلى منطقتين الأولى في الجنوب غرب نهر السنغال، والثانية في الشمال وتدور بواسطة الرؤساء التقليديين على أن يزود بجيش خليط من البدو والزنوج السنغاليين، وذلك لأن فرنسا لم تستطع أن تتخلص من الشيوخ المحليين واكتفت بتجريدهم من سلطانهم، ذلك أن وجودهم يساعد على تجنب الاتصال المباشر بين السكان والحكام العسكريين، وبالتالي أصبح أولئك الشيوخ أو الأمر بمثابة رؤساء إداريين مسؤولين أمام الإدارة الفرنسية[3] .

[1] صابر نور الدين، المرجع السابق، ص 139.

[2] عفاف عباس، المرجع السابق، ص 68.

[3] عفاف عباس، المرجع نفسه، ص ص 68-69.

تجدر الإشارة إلى أن فرنسا بعد ضمها لموريتانيا أصبحت في المجموعة الإفريقية الخاضعة لنفوذها، والتي عرفت باسم إفريقيا الغربية الفرنسية (F.O.A) أين كانت تدار من سان لويس أقامت نظاما إداريا يستجيب لمصالحها الاستعمارية، حيث أسندت إدارة المحمية إلى مندوب عام يساعده اثنا عشر فردا من الأهالي، وخلال الفترة الممتدة من 1904-1920 م اتبعت م ما يسمى بنظام الإقليم المدني، وبموجب ذلك النظام قسمت البلاد إلى دوائر، يديرا لإقليم مفوضا عاما، وفي أوت 1936 م أعيد تنظيم المؤسسات الإدارية بالنسبة للعرب الرحل وشعوب القارة السوداء، ثم انتقلت إلى نظام المستعمرة خلال الفترة 1920-1946م، حيث استبدل منصب المندوب العام بوالي موريتانيا كما أصبحت البلاد مستقلة ماليا وإداريا عن السنغال، وزاد عدد دوائرها إلى 6 دوائر، بموجب دستور أكتوبر 1946م أصبحت موريتانيا أحد أقاليم ما وراء البحار ويرأسها والي فرنسي، يمثله أحد الموريتانيين في الجمعية الوطنية الفرنسية، فيما بقي الجهاز الإداري مكونا من الفرنسيين الذين يمتلكون خبرة بشؤون البلاد والشعب [1]

2- السياسة الاقتصادية:

لقد أولت السلطات الفرنسية اهتماما خاصا لتشجيع الرأسمال الفرنسي وذلك باستغلال الثروة الحيوانية ومناجم الملح، إلا أن نشاط الشركات الفرنسية بدأ بعد الحرب العالمية الثانية، حيث تم اكتشاف الحديد والنحاس وغيرها، وفي هذا الجانب تعرض الموريتانيون لأشكال مختلفة من عمليات الإفقار والتجويع تحت ضغط الضرائب المتعددة الأشكال، حيث كانت هذه الأخيرة تثقل كاهل السكان فعلى رأس كل مقاطعة حاكم فرنسي يدفع إليه كل شهر بالإبل للركوب والنوق للحليب [2].

خلقت السياسة الجبائية الاستعمارية ظروفا مواتية لقيام روابط اجتماعية واقتصادية جديدة مبنية على النقد بدل المقايضة بحكم الحاجة الماسة إلى هذا الأخير الذي أصبح ضرورة، وهو ما فرض على سكان البلاد الدخول في علاقات تجارية مع مستعمرات الغرب الإفريقي خاصة

[1] صابر نور الدين، المرجع السابق، ص 140.

[2] صابر نور الدين، نفسه، ص 142.

مع السنغال ، بالإضافة إلى أسلوب التعامل بالنقد كان هناك تعامل بالدين الذي حقق أرباحا مضاعفة من أجل ذلك كانت هناك مقاومة اقتصادية ترفض التعامل التجاري مع الفرنسيين [1].

تجدر الإشارة إلى أن ميزانية المستعمرة كانت تشتمل على مجموع المداخيل والمصروفات خلال السنة ولم تفتنا الدخول المتأتية من الضرائب المباشرة وغير المباشرة ترتفع على طول الفترة الاستعمارية، ومع هذه الزيادة في الضرائب فإنها كانت أقل المصروفات حتى الثلاثينات وذلك بسبب الباهظة المتعلقة بالفرق العسكرية وقلة الضرائب المتأتية من النشاطات التجارية من ناحية أخرى، ولهذه الأسباب كانت الميزانية في عجز مستمر، لكنها لم تعطي الدخل سوى 50% من الاحتياجات ولذلك كان يتم تدعيمها من طرف الميزانية العامة لغرب إفريقيا[2].

3 – السياسة الاجتماعية والثقافية:

تمثلت السياسة الاجتماعية المتبعة في موريتانيا من طرف الاستعمار الفرنسي في تشجيعها للنزاعات القبلية وإثارة الحساسيات العرقية والدينية والاجتماعية، فحاولت جاهدة على إجهاض القيم الدينية والخلقية من المجتمع الموريتاني، وذلك من خلال كل ما يتعلق بقضايا الخمور والمحذرات وغيرها بهدف تفكيك السيطرة الاستعمارية عليه، والتحكم في مسار حياته [3].

أما بالنسبة للسياسة الثقافية فإن الدول الأوروبية الاستعمارية استعملت الثقافة كوسيلة لشق الطريق أمام العملية الاستعمارية أولا ثم ترسيخها ثانيا، فقد كانت الحملات التبشيرية والرحلات الاستكشافية من أهم الوسائل الثقافية التي استعملتها الدول الأوروبية من أجل السيطرة والاحتلال[4] ، وكذلك لقد اهتمت فرنسا عند احتلالها لموريتانيا بالمجال الثقافي وأعطته أهمية بالغة، وأول ما عملت به و السلطات الاستعمارية الفرنسية هو عزل الموريتانيين عن المحيط العربي فعمدت إلى فرض القيود المشددة على قوافل الحج وحظرت استيراد وتداول الصحف

[1] عفاف عباس، المرجع السابق، ص 70.

[2] خميسة بن قدور _مباركة مبروك: **المقاومة الموريتانية للاحتلال الفرنسي1903–1960 م**، مذكرة ماستر، تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة الوادي ،2021 م، ص65.

[3] محمود شاكر: **موريتانيا بلاد شنقيط**، مكتبة الفتح، دمشق، 1965م، ص 48.

[4] محمد عابد الجابري: **المسألة الثقافية في الوطن العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، لبنان، 1999م، ص180.

والمطبوعات العربية، كما حاربت اللغة العربية ومؤسساتها الدينية والثقافية[1]، و لقد اعتبرت فرنسا أن سياستها التعليمية الفرنسية هي أساس الرئيسي للهيمنة الثقافية على الشعوب، حيث فرضت ثقافتها عن طريق المدارس التي أنشأتها في مختلف أنحاء البلاد، وعلى الرغم من ذلك تمسك الموريتانيون بلغتهم وثقافتهم العربية الإسلامية، مما جعل هذه الأخيرة تواجه بعض العراقيل منها المحاضر القرآن وانتشارها حيث لعبت دورا هاما في المجال [2].

وكانت أهداف السياسية التعليمية الفرنسية تتمحور أساسا حول ثلاث نقاط أساسية وهي[3]:

أ- **التمدين:** يعتبر تمدين الشعوب هو الهدف الأول بالنسبة للاستعمار على اعتبار إفريقيا تشمل الشعوب المتوحشة وينبغي تمدينها.

ب - **الفرنسة:** لقد ترتب عن سياسة الفرنسة ظهور قانون الأنديجينا INDIGENAT وكان الهدف من هذا القانون هو تطبيق سياسة الفرنسة على جميع الأفارقة بمختلف مستوياتهم ومكانتهم الاجتماعية أي فرنسة جماعية[4] .

ووضعت اللغة الفرنسية كلغة وحيدة وإجبارية في المدارس الاستعمارية فاعتبرتها اللغة الرسمية للتعليم كما هو واضح من خلال مرسوم 10 ماي 1924م الذي جاء لمنع المعلمين القائمين على التدريس من الكلام مع تلاميذهم باللهجات المحلية[5] . حيث قيل:" الفرنسية هي وحدها اللغة المستعملة في المدارس، ويحظر على جميع المعلمين التحدث مع التلاميذ باللهجات المحلية وقد اعتبرت اللغة العربية لهجة محلية وقيل أيضا:" إن الفرنسية هي اللغة الوحيدة التي ينبغي بها ويتعين نشرها ينبغي أن نفرض الفرنسية على أكبر عدد ممكن من السكان المحليين لتكون لغة لاتصال أداة التفاهم[6]

[1] محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 74.

[2] الخليل النحوي، المرجع السابق، ص ص 53-55.

[3] خميسة بن قدور _ مباركة مبروك، المرجع السابق، ص 66.

[4] إلهام محمد علي ذهني: **جهاد الممالك الإسلامية في غرب افريقيا ضد الاستعمار الفرنسي**، دار المريخ للنشر، السعودية ، 1988م ، ص217.

[5] عفاف عباس المرجع السابق، ص 74.

[6] الخليل النحوي، المرجع السابق، ص 347.

جـ الانتقاء: وذلك بانتقاء بعض الأطراف وتكوينهم حسب حاجات الحياة الإدارية و الاقتصادية للبلاد المستعمرة بغية تغطية النقص العددي للفرنسيين.

والجدير بالذكر أن الفرنسيين قد أعدوا كل الوسائل محاولين إدماج تعليمهم داخل المحاضر فنادوا بإنشاء مدارس عربية فرنسية تجمع القرآن باللغة الفرنسية وبذلك يكون أقرب للروح الإسلامية، ففي 20 جوان 1906م صدر مرسوم محلي تقرر فيه إعطاء منح سنوية قدرها 300 فرنك لكل شيخ محضرة يخصص ساعتين في اليوم لتعليم اللغة الفرنسية، لكن الشيوخ رفضوا هذا الإغراء فلم يتقدم أي منهم بطلب الاستفادة من هذا المبلغ، ولم تقف الممارسات الاستعمارية والمحاولات الغربية عند هذا الحد بل استعانت بآراء الخبراء التربويين في الدول العربية المجاورة كتونس والجزائر وكذلك القاهرة[1]. وأدركت كذلك أن إجراءات الرقابة والإغواء غير كافية لزعزعة أركان المحضرة[2]، وكان اهتمام فرنسا بإقامة مدارس استعمارية في كل المراكز الإدارية، وكان الهدف من ورائه أن هذه المدارس ستعمل على خلق إدارة من الأهالي قادرة على تأدية كل المهام التي تحتاجها الإدارة الاستعمارية، كما أنها في نفس الوقت تضمن ولاء النخبة المتعلمة المتكلمة لفرنسا وللحضارة الفرنسية، وقد انتهجت هذه المدارس منهاج المستعمر وسارت على نمطه بالرغم من سماح الإدارة الفرنسية بإقامة هذه السياسة (الاستيعاب) وهي سياسة الفرنسة الاجتماعية.

وبالرغم من كل الصعوبات التي واجهت المستعمر في نشر ثقافته الاستعمارية فقد تحايل واتخذ لنفسه حلولا ملائمة مكنته من التغلغل داخل الأراضي الموريتانية نذكر منها الأساليب الاستعمارية المتبعة في التعليم منها سياسة الترغيب والترهيب[3] .

[1] عفاف عباس، المرجع السابق، ص 74.

[2] الخليل النحوي، المرجع السابق، ص 348.

[3] عفاف عباس، نفسه.

4 – السياسة الدينية:

تعد السياسة الدينية الفرنسية في موريتانيا أحد أعقد جوانب المشروع الاستعماري؛ إذ تراوحت بين **المهادنة والمراوغة** في بدايتها، و**التضييق والاحتواء** في مراحل استقرارها، وذلك بهدف إخضاع المجتمع الشنقيطي الذي كانت العقيدة الإسلامية تمثل حصنه الحصين

ويمكن استعراض ملامح هذه السياسة من خلال المحاور التالية:

أ_ مرحلة الاحتواء والتحالف مع القوى الروحية (البدايات) :أدركت فرنسا منذ البداية أن السيطرة العسكرية وحدها لا تكفي لاختراق مجتمع متدين، فاعتمد رائد التوغل الفرنسي **كزافيي كابولاني** على سياسة "التقرب من المسلمين"، ملقباً نفسه بـ "صديق المسلمين[1]."

- عقدت فرنسا اتفاقيات مع بعض الزعامات الدينية الكبرى مثل **الشيخ سيديَّ الباب** و**الشيخ سعد بوه**، الذين أفتوا بقبول الحماية الفرنسية مقابل "حقن الدماء" وضمان عدم المساس بالجانب الديني.
- تعهدت فرنسا في معاهداتها (مثل معاهدة 1903 مع قبائل الترارزة) باحترام الدين الإسلامي والعادات والتقاليد، وعدم التدخل في شؤون الإمارة الدينية.

ب_ سياسة الرقابة والتضييق على المؤسسات الدينية :بعد استقرار الإدارة الاستعمارية، تحولت السياسة إلى **محاصرة الإشعاع الديني** لمنع تحوله إلى وقود للمقاومة المسلحة:

- **مراقبة الزوايا والطرق الصوفية** :حذّر الحاكم العام لغرب إفريقيا مندوبيه من تعاظم شأن الطرق الصوفية، وفرض رقابة صارمة على تحركات الشيوخ ومريديهم
- **تقييد فريضة الحج** :فرضت فرنسا قيوداً مشددة على قوافل الحج، وحرصت على ترحيل الحجاج عبر بواخر تمر بـ "مرسيليا" بدلاً من البلاد العربية؛ لخوفها من احتكاك الموريتانيين بحركات الإصلاح الإسلامي في المشرق العربي.

[1] أحمد بالعجال: **السياسة الثقافية الفرنسية في موريتانيا خلال الفترة الاستعمارية (1903–1960م) التعليم مثالا**، مجلة الإحياء، مج 21، ع29 ،2021، ص720.

- **محاصرة القضاء الشرعي** :عملت الإدارة على تقليص صلاحيات المحاكم الشرعية، وتدخلت في تعيين القضاة لضمان ولائهم، وحاولت تدجين التعليم الديني ليكون "مغربلاً" من أفكار الجهاد والرفض[1].

ج_ الحرب الثقافية على "المحضرة :"اعتبرت فرنسا **المحضرة الموريتانية** (الجامعة البدوية) "العدو الحقيقي" لمشروعها التغريبي .ولذلك اتبعت أساليب عدة لإضعافها وهو ما سنتطرق له في الفصل الموالي.

[1] علي سعدي عبد الزهرة جبير: **الاستعمار الفرنسي في موريتانيا**، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 04 ،العدد 02 ،العراق 2020، ص 172.

خلاصة الفصل الأول:

تناولنا في الفصل أسباب الاحتلال الفرنسي لموريتانيا ومراحله وسياساته، حيث يبرز أن هذا الاحتلال كان جزءًا من مشروع استعماري فرنسي واسع يهدف إلى ربط مناطق النفوذ في شمال وغرب إفريقيا، وكانت موريتانيا تمثل حلقة استراتيجية في هذا الربط، وقد لعب الضابط الفرنسي كوبولاني دورًا محوريًا في تنفيذ هذا المشروع عبر اعتماد أسلوب مزدوج بدأ بالتغلغل السلمي من خلال استمالة الزعامات الدينية والقبلية، ثم التحول إلى القوة العسكرية عند الحاجة، مستفيدًا من أوضاع داخلية هشة في موريتانيا تمثلت في غياب سلطة مركزية، وانتشار الصراعات القبلية، وضعف الاتصال بالعالم الخارجي، إضافة إلى عوامل خارجية مثل التنافس الاستعماري مع بريطانيا وإسبانيا، ورغبة فرنسا في تأمين مستعمراتها في السنغال وتوسيع نفوذها الاقتصادي والسياسي، وبمجرد إحكام السيطرة فرضت فرنسا سياسات استعمارية شاملة هدفت إلى إخضاع المجتمع الموريتاني إداريًا واقتصاديًا وثقافيًا ودينيًا، فاعتمدت في الإدارة على مزيج من الحكم المباشر وغير المباشر عبر توظيف الزعامات المحلية وتقسيم البلاد إلى وحدات إدارية تخدم مصالحها، وبذلك تمكنت فرنسا من بسط سيطرتها الشاملة على موريتانيا وإدماجها ضمن منظومتها الاستعمارية رغم ما واجهته من مقاومة محلية.

الفصل الثاني

المقاومة الثقافية والدينية في موريتانيا ضد الاحتلال الفرنسي

- أولا: المقاومة الثقافية.

- ثانيا: المقاومة الدينية.

أولا: المقاومة الثقافية الموريتانية.

لقد تصدى الموريتانيون المحاولة الغزو الثقافي الفرنسي الذي تمثل خاصة في المدرسة النظامية بإعلان المقاومة، التي شاركت فيه كل فئات المجتمع من مواطنين وعلماء وسياسيين وحتى الأطفال كان لهم دور في عرقلة نجاح المدرسة، اتخذت المقاومة اشكال مختلفة، كان الدافع الأساسي وراءها الخوف على الدين.

1) دور المجتمع:

رغم الجهود التي بذلتها السلطات الاستعمارية والإجراءات التحفيزية من جهة والعقابية من جهة الإجبار الموريتانيين لإرسال أبنائهم إلى المدرسة النظامية بهدف انجاح السياسة التعليمية الفرنسية إلا أن الموريتانيين تصدوا لهذه السياسة، واعتبروا الالتحاق بالمدرسة الفرنسية والتعلم بها خروج من الملة الإسلامية[1]، وأعلنوا مقاومة ثقافية واسعة على غرار المقاومة العسكرية، فلم يدخر فيها الموريتانيون أي جهد أو حيلة للتصدي لها ومواجهتها، ومن أشكال التصدي للمدرسة الفرنسية:

- ✓ عدم التصريح بالولادات حيث تذكر احدى التقارير الفرنسية أن حي في تكانت يبلغ عدد سكانه 202 نسمة لم يبلغ إلا عن 7 ولادات في مدة 4 سنوات.
- ✓ عمد السكان إلى إخفاء أبنائهم في الجبال والمخابئ وغالطوا السلطات الاستعمارية بتقديم أطفال من الطبقات الدنيا بدل أبناء الأعيان.
- ✓ تقديم مبالغ مالية كرشوة يشترون بها ساعات النظامية ليقضيها أبناؤهم عند شيخ محضرة[2].
- ✓ لعبت المرأة دوراً كبيراً في هذه المقاومة فيصف تقرير يعود لسنة 1950 أعده ضابط فرنسي كلف بالاكتتاب كيف أن نساء (ولاته كانوا يبكون بشدة ويترجونه حتى يترك أبناءهم رغم أن المدارس كانت بجوار بيوتهم[3]، ويروي المختار بن دادة عن تلك المعارضة النسوية بما وقع في أسرته عندما قرر والده ارساله إلى المدرسة كيف عارضت والدته

[1] علي سالمان: المرجع السابق، ص 164.

[2] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 365.

[3] ولد صفدن: المرجع السابق، ص 278

وجدته وخالته ذلك القرار، وبعد أن تمكن والده من إقناعه بأهمية المدرسة والحقه بها، بعد أسبوعين من جاءت جدته محاولة إخراجه[1].

- ✓ لجوء التلاميذ إلى الهروب فكثرت الغيابات وأهملت الدروس مما أدى إلى رسوبهم لعدة سنوات ما يعرضهم للطرد[2]، وكمثال عن ذلك ما أشار إليه مدير مدرسة أبي تلميت أنه في سنة 1922 قاطع التلاميذ المدرسة وكثرت الغيابات ومنهم من هجر المدرسة بشكل دائم[3].

2) دور المثقفين والسياسيين:

رغم تكوين أغلبهم في المدارس الفرنسية، فقد وقف عدد منهم إلى جانب العلماء والشعب ضد السياسة الفرنسية الهادفة إلى تعميم الفرنسية ومحاولة اقصاء اللغة العربية في المدارس النظامية ودافعوا عن عروبة موريتانيا ففي تقرير أعدته الإدارة الفرنسية في 20 ماي 1952م حول اللغة العربية ذكر أن أحمد بن حرمة وسيدي المختار انجاي وأحمد سالم بن هيبة غير راضين عن الإدارة الفرنسية اتجاه اللغة العربية وأكدوا تمسكهم بعروبة موريتانيا وضرورة الحفاظ عليها.

وعلى منابر في المجالس المحلية ارتفعت أصوات النواب منددة بالسياسة التعليمية ومطالبتاً بإعطاء اللغة العربية مكانتها من أمثلة ذلك دفاع المستشارين في اجتماع اللجنة المكلفة بالتعليم بالجمعية الإقليمية لموريتانيا يوم 4 أفريل 1953م عن التعليم العربي وطالبوا بمنحه الأولوية وعبروا عن رفضهم تعميم الفرنسية، وفي اجتماع آخر طالب ممثلون عن الجنوب بتدريس اللغة العربية في كل المدارس النظامية بما في ذلك الجنوب[4]، وتحت ضغط الحركة الوطنية

[1] المختار ولد داده: المرجع السابق، ص 49.

[2] علي سالمان علي البدوي: المرجع السابق، ص 71.

[3] ولد صدقن: المرجع السابق، ص 279.

[4] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 369.

الموريتانية "**النهضة** [1] التي طالبت بإصلاح المنظومة التربوية تم سنة 1959م اعتماد أول اصلاح تحت اسم المواءمة " يستهدف تأهيل اللغة العربية واعتمادها كوسيلة تعليمية[2].

3) دور المحاضر:

تُعدّ المحاضر الموريتانية من أهم المؤسسات العلمية والدينية التي حافظت على الهوية الإسلامية والعربية في موريتانيا عبر القرون، إذ لم تكن مجرد مراكز للتعليم التقليدي، بل شكّلت حصناً ثقافياً وروحياً للمجتمع الموريتاني. وقد لعبت هذه المحاضر دوراً بارزاً في مواجهة الاستعمار الفرنسي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، حيث ساهمت في ترسيخ قيم الدين الإسلامي، ونشر اللغة العربية، والحفاظ على التراث الثقافي المحلي في وجه محاولات الطمس والتغريب التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية. كما أسهم العلماء وشيوخ المحاضر في توعية السكان بخطورة المشروع الاستعماري، فكانت المحضرة فضاءً للمقاومة الفكرية والدينية، ومنبراً للدفاع عن العقيدة والهوية الوطنية. ومن هذا المنطلق، برز دور المحاضر باعتبارها إحدى أهم أدوات المقاومة الثقافية والدينية التي ساعدت المجتمع الموريتاني على التمسك بأصالته ومواجهة التأثيرات الاستعمارية المختلفة وهذا ما سنتطرق إليه في المبحث الثاني

ثانيا: المقاومة الدينية الموريتانية.

أسهمت النهضة الثقافية المبكرة لدى الشناقطة في قيام مقاومة دينية ضد الاستعمار الفرنسي، لم تكن أقل شدة من المقاومة السياسية والعسكرية. وقد تعود جذور هذه المقاومة إلى بدايات الاحتكاك بالفرنسيين، حين أدركت النخب الدينية والعلمية خطورة التغلغل الاستعماري فسعت إلى مواجهته والتصدي له.

[1] **حزب النهضة:** حزب معارض شكله شباب وموظفين مثقفي ترأسه بياجي بن عابدين، ظهر في 26 أوت 1958 أثر تأسيس حزب التجمع الذي ضم تشكيلات حزبية للمؤيدة للحكم الذاتي في إطار الجماعة الفرنسية، دعا إلى الاستقلال التام والارتباط بالمغرب الأقصى ثم تراجع عن فكرة الارتباط، وبسبب مواقفه المعارضة ثم حضر نشاطه في 25 سبتمبر 1958، انظر محمد علي داهش المرجع السابق، ص 293.

[2] حبيبة ميلود – كريمة مقدم: المرجع السابق، ص61.

ورغم ما وفرته الإدارة الفرنسية من وسائل مادية ومعنوية لترسيخ نفوذها الحضاري في البلاد، وما اتخذته من إجراءات هدفت إلى إضعاف العلم وتقويض مكانة العلماء، فإنها اصطدمت بمجتمع ترسخت فيه قيم الحضارة الإسلامية بفضل المحاضر التي حافظ الموريتانيون من خلالها على ثقافتهم وهويتهم الدينية.

ومن هذا المنطلق، نسعى في هذا الفصل إلى إبراز الدور الذي اضطلعت به المحاضر ومشايخها في مواجهة المخططات الاستعمارية وإفشالها، ولا سيما تلك التي استهدفت الهوية والدين، الذي رآه الاستعمار أكبر عقبة أمام نجاح مشروعه في صحراء غرب إفريقيا.

1) مفهوم المحضرة:

أ- لغة: تعددت التعريفات اللغوية المصطلح المحضرة واشتقاقها اللغوي ولعل أهمها أنها مشتقة من فعل حضر أي منع وترمز إلى الحظيرة التي كانت تحيط بخيمة شيخ ومعلم المحضرة وعرائش ومساكن طلبته لحمايتها من الحيوانات وغيرها[1].

و**معنويا** يقصد بها الحظر الذي يمارسه الشيخ علي الطالب المحضري بمنعه من التجوال داخل الحي والاختلاط بأهله والانغماس في مشاغلهم الدنيوية وإلزامه بالتفرغ للعلم[2].

أو أن تكون مشتقة من فعل حضر أي مكان حضور المحاضرة وقد يكون هذا الحضور كذلك ماديا أو معنوياً فهو مادي لأن الطالب يحضر بجسمه محاضرة الأستاذ ومعنوي لأن فيه تجردا من الدنيا وهمومها إلى التعلم والتعليم خالصا لوجه الله تعالى[3].

ب اصطلاحاً: المحضرة مؤسسة تعليمية تقوم بأدوار جميع المؤسسات التعليمية من رياض الأطفال حتى الجامعة وترتكز على شيخ واحد يتولى التدريس متبرعا بدروسه حسبة منه لوجه الله تعالى إلى جانب أنه يقوم بالشعر على طلابه أخلاقيا[4].

---

[1] عمار غرايبة: التعليم الديني البدوي في صحراء شنقيط، **مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية**، جامعة الشهيد حمه الخضر الوادي، ع 05، ماي 2016، ص 19، أنظر الملحق رقم 3ص68.

[2] محمد بوزنكاض: **الإفريقية الصحراء في العلاقات المغربية**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2015، ص 165.

[3] محمد أمين محمدو: **المحاضر الموريتانية مؤسسات النقل المعارف**، مجلة تاريخ العربي، ع 22، 2016، الرباط، ص 49.

[4] امحمد بن سيدي محمد مولاي: **التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط**، ط 1، دار يوسف بن تاشفين، 2008م، ص34.

بينما يعرف خليل النحوي المحضرة بقوله " أنها جامعة شعبية يدوية متنقلة تلقينية، فردية التعليم وطوعية الممارسة".

فهي عبارة عن مكان خاص يحظى بنوع من الاحترام والتقدير من طرف جميع أفراد المجتمع وفيها يتلقى طلبة العلم مختلف العلوم[1].

ولهذا تعتبر المحاضر فريدة من نوعها بحيث تكون عبارة عن بعض أحياء البدو والذين يتبعون المراعي منتقلين من ضفاف **نهر السنغال**[2] إلى وادي **الساقية الحمراء**[3] بحثا عن المراعي. ولنشر العلم أينما توجهوا.

2) نشأة المحضرة:

إن البداية الفعلية لنشأة المحضرة والتعليم المحضري في موريتانيا يعود إلى دولة المرابطين في منتصف القرن الخامس الهجري ففي هذه الفترة بدأت بلاد شنقيط تعرف الإسلام ممارسة وتعليما وأصبحت معارفه تتغلغل داخل البلاد مع طرق القوافل بالرغم من صعوبة الظروف وعدم استقرار البلاد بسبب حالة البيئة التي كانت تعاني منها في تلك الفترة، إلا أن معالم البنية الثقافية بدأت تتبلور بشكل واضح في القرن 11م والتي تجسدت فيما يعرف بالمحاضر اليدوية أو الجامعات المتنقلة[4].

---

[1] خليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط، المرجع السابق، ص 23.

[2] **نهر السنغال:** عرف بعدة تسميات منها نحر صنهاجة ونهر بني الزناقية حتى مجيء الاستعمار الأوروبي، ينبع نهر السنغال من هضبة فولتا جالوك، ويمتد طوله حوالي 1790 كلم أما عرضه فيتراوح ما بين (10 إلى (25) كلم، للمزيد ينظر عبد الأمير عباس الخيالي: أبعاد الصراع الموريتاني السنغالي بحوض نهر السنغال، مجلة الفتح، كلية التربية،جامعة ديالي، ع34، 2008، ص 02.

[3] **الساقية الحمراء :** هي أرض مشهورة وهي آخر شنقيط من جهة واد نون تبعد عن شنقيط 20 يوما بالسير، وتعد من أبيات ابن الشيخ سيدي التي صرح فيها أن مسافتها شهرا بسير الابل من الصباح الى المساء بأنها أرضه تبعد عن شنقيط حوالي عشرة أيام ، وكانت الساقية الحمراء خالية لا أنيسة بما لشدة الخوف حتى عمرها الشيخ ماء العينين وبنى فيها الدور وغرس النحيل فسهلت المواصلة بين شنقيط وغيرها من المواضع المغربية التابعة للمحزن، وهي في الأصل للركيبات قبيلة أصلهم من الزوايا إلا أنهم يحملون السلاح في أكثر أوقاتهم والعلم فيهم قليل. للمزيد ينظر أحمد بن الأمين الشنقيطي: **الوسيط في تراجم الأدباء شنقيط**، ط4، دار الكتب المصرية، 1989 م، ص 424.

[4] مباركة بنت البراء: **الشعر الموريتاني الحديث من 1970 إلى 1995**، دراسة نقدية تحليلية، من منشورات اتحاد الكتاب العرب 1998م، ص 14.

فقاموا بتأسيس عدد من الأربطة والمدارس البدوية لتعليم البدو ودعوتهم للإسلام باعتباره النواة الأولى للتعليم في هذه المناطق، وتتفق جل المصادر على أن **الرباط**[1] الذي أقامه **عبد الله بن ياسين**[2] كان المحضرة الأولى سنة 1039م في بلاد شنقيط والشيء الفريد هو نشأتها في البادية ثم انتقلت إلى المدن.

ومن خلال هذا يمكن القول إن انتشار الإسلام في القارة الإفريقية بصفة عامة وموريتانيا بصفة خاصة كان له صلة وثيقة في انتشار المحاضر الموريتانية.

3) أثر المحاضر على موريتانيا:

أ- من الناحية الدينية واللغوية:

إن الجهود التي بذلها علماء المحاضر في تربية الطالب ومنذ سن مبكر وتلقينه العلوم الدينية وغرس محبة النبي في قلبه، وحرصهم على تعليمه اللغة والأدب بحفظ القرآن والأشعار قد أسهم في تحصين الطالب وتنشئته تنشئة دينية صحيحة وامتلاكه الفصاحة والمنطق والبيان[3]، هذا الجهد الذي بذلته المحاضر كان له الأثر الكبير في انتشار الإسلام -وإن كان قد بدأ منذ بداية الفتح الإسلامي للمنطقة - إلا أن جذوره لم تثبت ودعائمه لم تتقوى إلا بجهد المحاضر، كما أن انتشار اللغة العربية في المنطقة ثم تعربها لم يكن ليأتي في المنطقة إلا بجهود المحاضر ورجالها[4].

---

[1] **الرباط:** هو البناء أو المكان الذي يجتمع فيه للتفرغ للعبادة من الزهاد والصالحين استعدادا للجهاد في سبيل الله، فهو يجمع بين الصفتين الدينية والحربية ومن سكنه يسمى المرابط، والرباط يقال أيضا للمكان الذي يربط فيه الخيل للجهاد كما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: " وأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوكُمْ "، سورة الأنفال الآية 60، للمزيد ينظر علي البدوي علي سالمان: المرجع السابق، ص 139.

[2] **عبد الله بن ياسين:** هو أبو محمد عبد الله بن ياسين الجازولي إمام المرابطين، ولد ونشأ في منطقة السوسة الأقصى على الحدود الشمالية للصحراء، إلا أن المصادر لم تشر إلى تاريخ مولده ولكنه كان في نحو السنة 430هـ، واستشهد سنة 451هـ 1059م، للمزيد ينظر أحمد السالم ولد محمدو وآخرون: تاريخ القضاء في موريتانيا من عهد المرابطين إلى الاستقلال المؤسسة الوطنية للإدارة، تونس، 1997م، ص51.

[3] محمدن بن أحمد بن المحبوبي: "**المحاضر الشنقيطية تحصين للفرد وتمكين في الأرض**"، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، المجلد 1، ع1، جامعة الأغواط، 2016، ص 312.

[4] خليل النحوي: المرجع السابق، ص 283.

ب- إعداد الفرد لتحمل مشاق الحياة:

إن الحياة في المحضرة لم تكن سهلة ميسرة بل على الطالب منذ سن مبكر أن يتحمل مشاق الاغتراب طلباً للعلم معتمداً على نفسه ملزماً بمشاركة زملائه وتقاسم أعباء الحياة في المحضرة في الأكل والمسكن ورعي الإبل أو الأبقار[1].

ج- من الناحية العلمية:

نجحت المحضرة في تحويل المجتمع البدوي إلى مجتمع متعلم تندر فيه الأمية، ولم يحرم المرأة من حقها في طلب العلم، فقلما تجد في قبائل الزوايا رجل أو امرأة لا يجيد القراءة والكتابة وإن وجد فهو نادر[2] بل حتى العبيد قد اخذوا حظهم من العلم فكانوا يغنون على الطلب مقامات الحريري[3].

لم يقتصر أثر المحضرة على محاربة الأمية في المجتمع، بل حولت البادية الموريتانية إلى منارة علم، عرفت حركة علمية خاصة ما بين ق 11هـ - 13هـ / 17-19م بفضل الأجيال من العلماء الذين خرجتهم المحاضر الذين خاضوا في علوم شتى وتركوا مؤلفات عدة، منهم عبد العزيز اليدالي ت 6هـ / 11م صاحب كتاب الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز[4] والمختار الكنتي ت 1226هـ الذي صنف كتب عدة منها تفسير الفاتحة، تفسير البسملة[5] وكما ألف الشناقطة في الفقه والسيرة والانتساب والتصوف والمنطق والطب وعلوم التاريخ والجغرافيا والرحلات[6] وأبدع الموريتانيون في مجال الشعر فنظموا قصائد في مختلف أغراضه بل جعلوا منه وسيلة للتدريس الشعر التعليمي فاختصروا المصنفات الدينية والأدبية في قصائد تسهيلاً للضبط والحفظ[7].

---

[1] أحمد بن الأمين الشنقيطي: المرجع السابق، ص493.

[2] أحمد بن الأمين الشنقيطي: المرجع نفسه، ص 489.

[3] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 287.

[4] المختار بن حامد: **حياة موريتانيا (الحياة الثقافة)**، الدار العربية للكتاب، (د.ت)، ص 42.

[5] المختار بن حامد: المرجع نفسه، ص 48.

[6] الخليل النحوي: المرجع نفسه، ص ص 240-242.

[7] محمد المختار ولد اباه: **الشعر والشعراء في موريتانيا**، ط3، دار الأمان، الرباط، 2003، ص 43.

كما كانت المرأة في بلاد شنقيط حاضرة في الحياة العلمية وشاركت في النهضة التي عرفتها البلاد ومن تلك الأسماء نسجل خناثة بنت الأمير المغفري الشنقيطي وبكار زوجة مولاي إسماعيل التي قبل أن لها حواشي على هامش نسخة من كتاب الإصابة لابن حجر بخطها[1]، وخديجة بنت العاقل التي قيل أنها فاقت أقرانها في المنطق ولها مؤلف أم البراهين تشرح فيه عقيدة محمد بن يوسف السنوسي[2]، ومنهن أيضاً منة بنت أحمد بن خليفة ومريم بنت بلا وآمنة بن الخال [3].

كما كان للمحضرة دور في ربط الصلة بين موريتانيا والعالم الإسلامي مشرقه ومغربه بفضل علماءها الذين كانوا سفراء عرفوا بالثقافة الموريتانية وما بلغته من تطور ومن أولئك العلماء الذين كان لهم حضور قوي في المغرب الأقصى الشيخ ماء العينين والذي أسس عدة محاضر به، ومن العلماء الذين كان لهم حضور قوي بالمشرق العلامة محمد محمود بن التلاميذ ت 1323هـ / 1905م علامة في اللغة والأدب والحديث شهد له أقرانه بقوة حفظه وعلمه وصفه تلميذه محمد رضا بأنه العلامة المحدث الذي انتهت إليه رئاسة اللغة والحديث في مصر[4]، ومحمد الأمين بن محمد المختار ت 1393هـ الذي مكث ربع قرن بالسعودية جلس التدريس التفسير والفقه في المسجد النبوي والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وله عدة مؤلفات منها: أضواء البيان، نظم الفرائض، ألفية في المنطق[5] .

إن ظهور المحاضر وانتشارها قد أسهم في تكوين الفرد ما انعكس على المجتمع فكان مجتمعاً مسلماً متديناً عربياً متعلماً أثرى علمائه المكتبة الإسلامية بما خلفوه من مصنفات في علوم

[1] محمد المختار ولد اباه: المرجع السابق، ص، ص 47، 48.

[2] أحمد بن أحمد يوره الديماني: **إخبار الأخبار بأخبار الآبار**، تر: بول مارتي، تح: أحمد ولد الحسن، مكتبة النجاح الجديدة الدار البيضاء، 1992، ص 29.

[3] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 290.

[4] الحسين بن محتض: المرجع السابق، ص 254.

[5] محمد بن سيدي محمد مولاي: المرجع السابق، ص ص 408-414.

شتى ولم يتوقفوا عند ذلك بل ركبوا أمواج الصحراء متوغلين في اعماق افريقيا، فكان لهم تأثير كبير عليها.[1]

4) المحاضر الموريتانية في مواجهة المدارس الفرنسية.

ذكر الحاكم العام لغرب إفريقيا في تقرير له إلى وزير المستعمرات مبرزاً فيه الخصوصية الثقافية للموريتانيين قائلاً: وجدنا شعباً له ماض من الأمجاد والفتوح لم يغب عن ذاكرته بعد ومؤسسات اجتماعية لا نستطيع أن نتجاهلها ...»، وقال أيضا ومن العجيب أننا وجدنا لدى الزوايا ثقافة رفيعة أكثر تطوراً من الثقافة التي لاحظناها لدى مثقفي إفريقيا الشمالية»[2].

إن المتمعن في التاريخ الموريتاني إبان الحقبة الاستعمارية الفرنسية يجد أن النظام المحضري وجد نفسه في مواجهة مباشرة وحادة مع سلطات الاحتلال التي فرضت لغتها بشكل تدريجي سعت من خلالها إلى طمس الهوية ومحو الدين وتغييب الفصحى عن طريق مدارسها التي أقامتها في ربوع البلد، وأكثر من هذا محاولة عزل بلاد شنقيط عن محيطها المغاربي والعربي الإسلامي ككل، لذا كانت المحضرة بمثابة الحصن المنيع والمتين الذي حاول الموريتانيون من خلاله حماية ثقافتهم والتمسك بها ومحاولة إيقاف فرنسا عند حدها عندما باشرت في تغيير السياسة التعليمية ومدارسها بالبلاد[3].

فالمحاضر الموريتانية لعبت دوراً أساسياً في مقاومة الاستعمار وإفشال مخططاته ورفضه لدرجة التغيب الكلي لأي خيار غير الرفض والمقاومة وتحصين المجتمع ضد الثقافة الاستعمارية واستهجانها ومحاربتها فكراً وسلوكاً[4]، وهو ما سيصعب الأمر على الاستعمار في السيطرة عليهم. وفي هذا الصدد قال الحاكم الفرنسي "ليغرت": «لقد عالجنا مشكلة التعليم فور دخولنا موريتانيا ولكنها مشكلة حادة، لقد وجدنا أنفسنا في مستعمرات أخرى في ساحة فارغة

---

[1] حبيبة ميلود – كريمة مقدم: **السياسة التعليمية الفرنسية في موريتانيا 1903–1960م**، مذكرة ماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر، جامعة أدرار، 2019، ص 28.

[2] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 339.

[3] ليلى ابلالي، فايزة فرفور: **المحاضر الموريتانية واسهاماتها في مقاومة الاحتلال الفرنسي 1903–1960م**، مذكرة ماستر تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر، جامعة أدرار، 2020، ص65.

[4] علي سالمان: المرجع السابق، ص 128.

أمام شعوب متلهفة إلى محاكاتنا، أما موريتانيا فإن المقاومة التي ينمو نفوذها عن طريق التعليم المحضري بدت مقاومة صلبة» [1].

فقد سعى الموريتانيون منذ الوهلة الأولى للإفلات من قبضة المدرسة الفرنسية ومقاطعتها فاستخدموا الرشوة في بعض المرات، حيث كان الآباء يشترون من المعلم ساعات الدراسة النظامية ليصرفها أبناؤهم عند مدرس القرآن أو شيخ المحضرة إضافة إلى هروب التلاميذ وكثرة الغيابات المؤقتة وإهمال الدروس، مما ترتب عليه إعادة السنة مرات أو الطرد من المدرسة، وما يثبت ذلك هو نسبة المتعلمين في المدارس النظامية بما فيها المدرسة العربية الإسلامية، إذ كانت منخفضة إذا ما قورنت بعموم المستعمرات الفرنسية في غرب إفريقيا؛ فقد قدرت سنة 1932م بـ 1.1% من الأطفال في الإقليم الموريتاني مقابل 3.7% لعموم مستعمراتها في الغرب الافريقي، وفي سنة 1948م كانت النسبة 1.6% مقابل 04% ، وكان تعداد تلاميذ المدارس الفرنسية بموريتانيا سنة 1932م نحو 438 تلميذ فقط موزعين على سبعة مدارس.[2]

وهو الأمر الذي جعل رجال المستعمر يتهمون المحضرة ودورها في التحريض ضد مدارسه فقد تحدث " le Courtois " عن دور علماء ومشايخ المحضرة في الحملة ضد المدارس الفرنسية حيث حرموا انخراط الأطفال الموريتانيين فيها، وقد حمل لواء المقاومة الثقافية علماء أجلاء من جميع فئات الشعب وأعراقه عارضوا التعليم الفرنسي واعتبروه مخالفاً للشرع الإسلامي على رأسهم العلامة محمد الخضر ولد ما يابي" الذي كان المرشد الروحي والعلمي للمجاهدين[3] وغيره من الشيوخ الذين شحذوا أقلامهم لإفشال الخطط الاستعمارية ودعوا السكان إلى ضرورة التشبث بالمحاضر والتعليم الأصلي أمثال الشيخ والعالم المختار ولد ايلول (ت 1978م) الذي علل هذا التحريم بأن الطفل يولد على الفطرة، فلهذا وجب على أبويه أو معلميه حراسته وتعليمه كل ما يتعلق بالعقيدة كونه في حاجة ماسة إلى التنبيه وهو في هذه المرحلة بالذات، فهذا

[1] الحسين بن محنض: **تاريخ موريتانيا الحديث 1645م – 1905م**، ط1، دار الفكر، نواكشوط، 2010، ص 259.

[2] عفاف عباس، المرجع السابق، ص 90.

[3] سيدي ولد أحمد مولود: **المقاومة الثقافية بشهادة الفرنسيين**" – وكالة وطني للأخبار www.wateni.com، ص 9، تاريخ التصفح، 12-05-2026.

واجبهم ولو تركوا ما أوجب الله عليهم في حق أولادهم فإنهم سيجعلونهم عرضة لأهل البدع والأهواء. [1]

فبفضلهم ظل الإقبال على المدرسة الفرنسية بين ضعيف وشبه ضعيف وهو ما يظهر من خلال تقرير آخر للضابط rosso j حيث قال: « أن إقبال أبناء البيضان ظل معدوماً في السنوات الأولى وإقبال أبناء الزنوج موجود لكنه ضعيف لم يتجاوز خلال عامي 1905 1906م الأربعة والعشرين طالباً بعد أن كانوا سبعة طلاب رغم توفير منح دراسية لكل من يلتحق بهذه المدرسة»، وهو ما يجعل البرامج التربوية الفرنسية عاجزة عن تحقيق ما كان يتوخى منها خاصة وأن أغلب الطلاب لا يدخل المدرسة إلا بعد أن يقطع أشواطاً في التعليم المحضري أو يزاوج بينهما، وهو ما انصاعت له الإدارة الفرنسية وكان أشد وقعاً عليها عندما علمت أن المحضرة مقدسة عند هذا المجتمع، الشيء الذي جعل بعض رجال الاستعمار يصرحون بأن هناك قلة حكمة من طرف إدارتهم كما يرى فرانسيس دي ساشيه الذي رأى أن الأولى لها أن تفرض التعاليم الدينية المسيحية بشكل علني مع الثقافة الفرنسية وإلغاء التعليم ما دام لا يحقق ما تصبوا إليه الإدارة فقال: مبدأ المدرسة (أي المدرسة الفرنسية ممتاز ولكن تطبيقه ينبغي أن يكون حكيماً في هذه الحال يكون العمل بالتميز اللاهوتي أو لا يكون أبدا»[2]

يتضح لنا أن السلطات الفرنسية قد أدركت وبشكل مبكر أنها قد أخطأت حساباتها، كما اكتشفت أن القضاء على خصوصية هذا المجتمع لن تتم بين عشية وضحاها؛ فهو شعب عصي على الانقياد ولم يحن بعد وقت استئصال ثقافته، لذلك اضطرت إلى إصدار جملة من التعديلات على مدارسها لتكييفها وطبيعة المجتمع الشنقيطي ومن ثم ضمان تحقيق أكبر قدر من أهداف مشروعها الاستعماري، كالقرار الذي يسمح بتعليم العربية في المدارس الفرنسية، غير أنه قوبل بالممانعة والرفض، مما أرغم المستعمر على إعادة النظر في هذا القرار ونسخه بإصدار تعميم يكتفي بالتأكيد على ضرورة إعراب الأسر شفهياً عن رغبتها في تعلم أبنائها العربية.

[1] فاطمة العبادي، يمينه رقادي: المرجع السابق، ص 62.

[2] بوها محمد عبد الله سيدي:المرجع السابق، ص 203.

وكان هذا التعميم مجرد إجراء استثنائي غايته تشجيع إقبال الأطفال على المدرسة الفرنسية بتوفير قسط من التعليم التقليدي الذي يتشبث به البيضان[1]، أو القرار الذي يفرض الدراسة على أبناء شيوخ القبائل لتنصاع معهم بقية القبيلة، ولكنها أخفقت في تلك الحيلة أيضا.

وواجهت الرفض التام من طرف المشايخ الموريتانيين للتعليم المزدوج الذي حاولت إيجاده في مدرسة أطار وغيرها؛ حيث أبوا أن يكون التدريس باللغة الفرنسية وطالبوا أن يكون اختيارياً ولا يستفيد منه إلا من أراد ذلك، وحتى تتمكن السلطة الفرنسية من إخماد نار المعارضة لها في المنطقة عملت على كسب ود السكان، وذلك من خلال دعوة بعض علماء المنطقة إلى التدريس في المدرسة، غير أن هؤلاء العلماء أظهروا رفضهم لذلك وتماطلوا في الرد على ما أرادت، وهذا ما أكده مسؤول الإدارة الفرنسية بأدرار بأن المدرسة صعوبات، وأن الأساتذة الذين تم اختيارهم للقيام بمهمة التدريس فيها رفضوا ذلك مشيراً إلى ضرورة بذل جهود أكبر لإقناع البيضان[2].

إن استهداف السلطات الفرنسية لعلماء المحاضر جعلهم يقاطعون كل محاولاتها البائسة لإدراجهم ضمن خططها التعليمية لذلك عمدت إلى المحاضر التي لم تسلم هي أيضا من سياستها كما تطرقنا إليه، وهذا من خلال محاولات إخضاعها لسلطتها بالعصا الغليظة أحياناً وبالإغراءات المادية أحيانا أخرى، ومن تلك الإغراءات المرسوم الذي أصدره المستعمر سنة (1906م) القاضي بصرف منحة تشجيعية شهرية قدرها 300 فرنك (60) أوقية) لكل شيخ محضرة يأمر طلابه بتخصيص ساعتين لتعلم الفرنسية، وبهذا فرضت اللغة الفرنسية في كل محضرة.

ورغم الظروف الصعبة للمحضرة، وحاجتهم الماسة لتلك المنحة فإن أي شيخ لم يتقدم للاستفادة منها، بل إن الشيوخ الذين تزعموا المقاومة الثقافية حذروا من خطرها، كما طالبوا السلطة الفرنسية سنة 1935م بتحويل مدرسة بوتلميت التي أقامتها إلى محضرة حقيقة وجعلها تنتهج منهج المحضرة وطرقها في التدريس.

[1] فاطمة العبادي، يمينه رقادي: المرجع السابق، ص 63.

[2] ليلى ابلالي، فايزة فرفور: المرجع السابق 65.

وقد شهدت هذه المدرسة إضرابات ومظاهرات من طرف تلامذتها في 30 مارس 1936م التي انضم اليها الكثير من الطلبة من كل الولايات الموريتانية، وقاوم سكان أطار التعليم الفرنسي وأصروا على أن يكون اختياري يستفيد منه من يرغب به، وبهذا ساهمت الزوايا والمحاضر ساهمت في إفشال المشاريع الفرنسية الهادفة إلى خلق جيل مفرنس مثقف بالثقافة الفرنسية، وهذا من خلال إقناع الشعب الموريتاني على مناهضة الاستعمار من جهة، والتشبث بقيمهم الدينية وارتباطهم بأصالتهم من جهة أخرى[1].

وبهذا أخفق الاستعمار في كل محاولاته الهادفة إلى تدجين المحاضر وشيوخها في مشروعه البائس، وفي هذا الصدد قال المؤرخ محمد يوسف مقلد: «الشيء الرائع في حياة الموريتانيين، أن التأثير الفرنسي ظل تأثيراً محدوداً لم يستطع رغم كل المحاولات أن يضعف فيهم الروح العربية الإسلامية، فبرهنوا بذلك على مناعة قوية يستحقون من أجلها أعظم الإعجاب والاحترام»[2].

وقد شكلت معارضة المحضرة ومحاربتها للمدرسة الفرنسية école عنواناً عريضاً في شعر المقاومة الشنقيطية، وذلك لعدة عوامل منها: أن التنصير أصبح على الأبواب بعد أن وصل المنصرون بحماية من الإدارة الاستعمارية إلى الجوار المباشر للبلاد، فشاهدوا الاضطهاد والقهر والاستعباد يمارس على السكان المحليين وفرض الثقافة الفرنسية عليهم، وهو ما تولدت عنه هبة شعبية واسعة ضد افتتاح هذه المدارس منذ مطلع القرن العشرين ميلادي، وكانت الوسيلة الأنجع لإيصال رسائلهم هي الشعر فنظموا الفتاوى والنصائح التي تحذر من تسليم الصغار للنصارى وأن من يفعل ذلك يكون مفرطاً في أبنائه، كما بينوا أن المدرسة الفرنسية وسيلة المحاربة الدين وطمس الهوية الإسلامية وقد جاءت الفتاوى بهذا الصدد من أعلام كبار ومن مختلف مناطق البلاد، كالتي أجاب فيها الشيخ محمد الأمين بن محمد مولود بن أحمد فال عن حكم نازلة المدارس الاستعمارية وتسليم الصغار لها فكان جوابه: « جواز تعلم لغة الكفرة وخطر تعلم الأبناء لأن الإثم يعود على الذي بعثه، كما أفتى أيضا الشيخ العلامة

[1] ولد صدفن: المرجع السابق، ص 96.

[2] ليلى ابلالي، فايزة فرفور: المرجع السابق 66.

"الشوشاوي" و "عبد الله بن داده" وغيرهم بأنها مدارس خراب وبيوت عناكب ومكيدة من أهل الكفر للدين الحنيف[1].

وجاء النهي عن تسليم الصغار للمدارس الفرنسية والتذكير بعواقب ذلك من الويل والثبور في الآخرة والعار والدنية في الدنيا، فهذا الشيخ محمدو حامد بن آلا" (ت 1379هـ /(1959م) دعا في أبياته هذه أهل الحل والعقد في المجتمع إلى إجهاض القرار الفرنسي بفتح مدارسه في البلاد:

مني لمن ليس منه البعد ينسيني***وليس عنه جميع الأهل يسليني

عن موجب أننا كانت لنا بكم***حماية الدين إذا خفنا على الدين

واليوم أصبح لا ترضوا وحاش لكم***يسام خسفا على مر الأحايين

فبادروا الدين إن الدين مذ زمن*** ما لم تلاقوه في دار من الهون

فالدين مبقاه أن تأتي الصغار به وحيث لا فإذن لم يبق من دين

والناس إذ أفسدوا دين الصغار رضوا **** بالمحو للدين من كل الدواوين[2].

وهكذا نرى أن المجتمع الموريتاني بشكل عام وعلمائه على وجه الخصوص قد عبروا عن عدم قبولهم للسياسة الاستعمارية التعليمية التي سعت فرنسا إلى إقناع السكان بها، عن طريق اتخاذ المشايخ مدرسين فيها لكسر شوكتهم وإخضاع السكان بخضوعهم، وهذا من خلال مقاطعة مدارسه بمختلف أشكالها، ورفض قبول التدريس بها، وكذا رفض أي شكل لإغراءاته المادية رغم حاجتهم الماسة لها، كما شحذوا أقلامهم من أجل تنبيه العامة بالخطر المحدق، فهي جهود وإن اختلفت أشكالها فقد ساهمت في امتناع أغلب السكان عن المدرسة الفرنسية تلبية لنداء شيوخ المحاضر المواجهة الثقافة الاستعمارية (النصرانية) .

[1] بوها محمد عبد الله سيدي: المرجع السابق، ص 180.

[2] أحمد وسالم بن المصطفى: المرجع السابق، ص 7.

وفي خضم هذا الجو المشحون بالرفض لهذه المدارس بمختلف أشكالها، اعترفت الإدارة الفرنسية ومن خلال كبار مسؤوليها بفشلها الذريع حينما لم تجد من يتجاوب معها، فهذا مفتش فرنسي يقر بخيبة أمله في استعداد السكان لقبول المدرسة الاستعمارية سنة 1950م قائلاً: «إن البيضان يخيبون الأمل، ولا يمكن في الوقت الحاضر الاعتماد عليهم، حيث استعصى علينا تطويعهم لاكتتاب التلاميذ، ولا بد من دعاية ذكية، ولكن ضغط الإدارة مازال ضروريا».

وفي ذات المجال ذكر الحاكم الفرنسي في تقرير له: «لقد تم إلغاء الدروس لعدم وجود تلاميذ، نظراً إلى أن السكان مجمعون على حرمة تعلم لغتنا» [1].

وأضاف قائلاً: «وهكذا انتصب في مواجهتنا عدو قديم وقوي وهو تعليم المحاضر وللتغلب على هذا المنافس القوي تعين انتهاج سياسة مدرسية حكيمة»، ولاحظ الحاكم أن المحاضر منتشرة في موريتانيا وتكاد تكون موجودة في كل حي[2] .

وفسر الفرنسيون رفض المدرسة النظامية بكل أشكالها على أنه يعود إلى عوامل عديدة تكمن وراء موقف السكان، فهناك البداوة والثقافة وبالتالي المجتمع الموريتاني مجتمع بدوي ذو ثقافة رفيعة إضافة إلى الخبرة الدينية التي تجسدها المحاضر فهي ترفض التبعية، فلذلك واجه الموريتانيين الدعاية الاستعمارية إما بالصمت أو بالتظاهر بعدم الفهم أو في أحسن الأحوال بالموافقة الشفهية والكف عن الاستجابة العملية أو اختلاق المعاذير المختلفة، وقد أربكت هذه الأساليب رجال الإدارة الفرنسية الذين بدوا أغبياء وجاهلين بالبلد رغم طول مكوثهم فيه. لتثبت بذلك المحضرة بأنها مؤسسة اجتماعية تعليمية لا يمكن هزيمتها.[3]

ولخص أحد الفرنسيين سبب إخفاق المدرسة الفرنسية قائلاً: «إن التعليم التقليدي راسخ الجذور، وهو ينال دعم جميع السكان، وإن إجراءات دمجه في المدرسة الفرنسية من خلال مواد عربية لم تنل رضا السكان»[4].

[1] سيدي ولد أحمد مولود: المرجع السابق، ص 13.

[2] أحمد وسالم المصطفى: المرجع السابق، ص 9.

[3] عفاف عباس: المرجع السابق، ص 94.

[4] سيدي ولد أحمد مولود: المرجع نفسه.

فالمدرسة العصرية الفرنسية لم تغري أبداً الشناقطة رغم الطابع الديني المحض للمحاضر وهذا لوجود الدعامة الروحية الرصينة القرآن والسنة التي جعلتهم يرفضون رفضاً مطلقاً كل بديل عنها.

يتضح لنا مما سبق أن التجربة الفرنسية في مجال التعليم استعصت بل وأخفقت بشهادة الفرنسيين أنفسهم بفعل الدور الكبير الذي لعبته المحاضر وشيوخها في المجتمع الشنقيطي، والذي يبدأ من تربية النشء وتقويم المجتمع على مبادئ الدين الإسلامي الحنيف ونشر العلوم بمختلف أنواعها خاصة تحفيظ القرآن الكريم الذي يعتبر المادة الرئيسية في كل المحاضر الموريتانية كونه الدعامة الروحية فيها.

لهذا تعتبر موريتانيا أقل مناطق غرب إفريقيا تأثراً بالثقافة الفرنسية رغم محاولات فرض التعليم الفرنسي على السكان بشتى الطرق كوسيلة لطمس معالم الهوية وإحداث شرخاً في بنيته الاجتماعية، لكنهم تمسكوا بتعليم المحاضر ورأوا أن المدارس الفرنسية تحديد خطير لشخصيتهم العربية الإسلامية[1] .

وإلى جانب الموقف الواضح من الاستعمار ومخططاته ومحاولة التصدي لها خاصة المتعلقة بالجانب التعليمي برز الدور الكبير للمحضرة وعلمائها والمتمثل في الدفاع المستميت على الإسلام ونصرته ليس فقط في موريتانيا وإنما في الغرب الافريقي ككل، وهذا بعدما استشعرت النخب الدينية خطورة المدارس الفرنسية وأفكارها ذات النزعة النصرانية على الدين الإسلامي كونه الدعامة الأساسية التي تربط الغرب الإفريقي ببعضه البعض، حيث أجبرت المواجهة مع فرنسا العديد من شيوخ المحاضر وخريجيها إلى الهجرة نحو مناطق عدة استطاعوا من خلالها مواصلة جهودهم في مقاومة المحتل.

إن المعلومات التي ذكرنا عن أدوار المحضرة ما هي إلا نقطة من بحر نظراً لعراقة هذه المؤسسة وتجدرها في المجتمع الشنقيطي وجهودها في التصدي للمدارس الفرنسية وأفكارها من

[1] علي سالمان، المرجع السابق، ص 129.

جهة، وفي ازدهار البلاد والقضاء على الجهل من جهة أخرى وهو الدور الذي لم يتوقف إلى يومنا هذا[1].

فرغم كل الوسائل التي استخدمتها فرنسا من إجراءات ومراقبة وإغراءات مادية ومعنوية لتحقيق السيطرة الثقافية على موريتانيا إلا أنها لم تتمكن من ذلك، والفضل يعود إلى ذاك الحصن المنيع من مشايخ المحاضر الذين وقفوا ضد كل سياسة تستهدف القضاء على لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم

5) جهود شيوخ المحاضر في التصدي للاستعمار الفرنسي.

لقد بذل شيوخ المحاضر جهود جبارة في مواجهة الاحتلال الفرنسي سواء تعلق الأمر برفض تواجده أو محاصرته ومضايقته بمختلف الوسائل ومقاطعة مشاريعه المختلفة، الأمر الذي أدى إلى تحصين معظم المجتمع من الغزو الثقافي المدمر على وجه الخصوص.

فقد نصب هؤلاء أنفسهم منذ الوهلة الأولى للدخول الفرنسي السلطة الشرعية أو التشريعية للمقاومة التي لها الحل والعقد، نظراً للفراغ السياسي الذي كانت تعاني منه البلاد مع مطلع القرن العشرين وجعلها لقمة مستساغة للإدارة الفرنسية، حيث حاول شيوخ المحاضر مواجهة التواجد الاستعماري بداية بإفشالهم لبعض البعثات الاستكشافية للمنطقة، كرحلة الرحالة والمستكشف الفرنسي "رني كابيه" أثناء تجوله واستكشافه في منطقة البراكنة بالجنوب الموريتاني سنتي 1824-1825م، كما افشلوا رحلة نقيب الأركان العامة هانري فينصان" سنة 1860م المبعوث من طرف الجنرال "فيدرب" إلى منطقة أدرار تمهيداً للتمدد العسكري بها [2].

ولم يقتصر الأمر على هذا فمع الدخول الفرنسي شكل تواجده نقطة خلاف بين علماء شنقيط حيث تباينت أراءهم وفتواهم من نازلة الاستعمار ، فهناك من رأى ضرورة الهجرة من بلد قد سيطر عليه النصارى أو رفض مجابهتهم لأن هؤلاء أقوى عدة وعتاداً من الموريتانيين، في حين أفتى البعض الآخر ممن كانوا رافضين رفضاً قاطعاً للتوغل والتدخل الفرنسي (وهم غالبية العلماء) بضرورة الجهاد ضد عدو الله والأرض، ومن هؤلاء العلماء الذين كانوا مناهضين

[1] ليلى ابلالي، فايزة فرفور: المرجع السابق 69.

[2] حسنة الغامدي وطارق العجال: المرجع السابق، ص 34.

للاستعمار على سبيل المثال – لا الحصر – الشيخان ماء العينين والشيخ حماه الله التشيتي [1]، اللذان كرسا الغالي والنفيس لمواجهة التوسع الاستعماري في البلاد، كما عملوا على استنهاض همم السكان المجابهة هذا العدو.

وتجدر الإشارة إلى أن أبرز العلماء الذين عارضوا فكرة جهاد النصارى معللين ذلك بضرورة المحافظة على أرواح المسلمين وأن ضرر المقاومة أكبر من نفعها، تجد الشيخ "سعد بوه" الذي كان له ولأسرته دور ثقافي بارز في نشر تعاليم الإسلام لاسيما علوم الباطن والتصوف ونحوه [2]، غير أنه كان معارضاً لفكرة محاربة فرنسا، وتجلى هذا من خلال علاقته الحسنة مع الفرنسيين الذين حاولوا كسبه عن طريق مبدأ المصلحة والمنفعة، والشيخ "سيديا بابا" الذي رأى بأن التعامل معهم أمر لا مفر منه باعتبار أن البلاد في حاجة ماسة إلى سلطة مركزية تعمل على الحد من حالة التسيب والفوضى التي أثقلت كاهل القبائل، ولهذا الأمر برع الشيخ "سيدي بابا" في إصدار الحجج الشرعية التي تؤكد أن التعامل مع النصارى أمر في صالح البلاد[3].

ومهما يكن من حجج قدمها هؤلاء لتبرير مواقفهم، فإنهم بذلك قد رحبوا بطريقة أو بأخرى بالوجود الفرنسي في بلادهم، واجتهدوا في إصدار الفتاوى التي تحبذ ذلك وهو الأمر الذي لا زال يحسب عليهم إلى يومنا هذا.

ولأن جهود علماء شنقيط في مقاومة وصد العدوان الفرنسي تختلف من شيخ إلى آخر ومن فترة إلى أخرى، مع أنها جميعها تصب في قالب واحد هو الحفاظ على هوية المجتمع والدفاع عن حوزة الوطن، فقد تعددت مجالات المقاومة وسنحاول عرضها في ثلاث مجالات:

1) **في المجال الثقافي:** الذي برزت فيه نخبة العلماء بشكل كبير نظراً للسياسة الاستعمارية التي حاولت استهداف الهوية الشنقيطية في مختلف مقوماتها، وقد تجسدت لنا في ثلاث محاور أساسية متكاملة مع بعضها البعض هي:

[1] **ولد أحمد حماه الله التشيتي عام 1882م:**من أب عالم ومتدين في وسط تيجاني، المخرط في حلقة الشيخ محمد بن عبد الله الأخضر الذي اكتشف صفات مميزة فيه، وقد كان حما الله من أتباع الطريقة الجمالية التي نسبت إليه بالرغم من أنها تأسست على تعاليم الشيخ مسلم توات ينظر: المختار ولد محمد المرجع السابق، ص 77. انظر الملحق رقم: 4 ص69.

[2] المختار ولد محمد: المرجع السابق، ص 125.

[3] أحمد ولد هارون ولد الشيخ سيدي الشيخ: الشيخ سيدي الموروث الثقافي والأدبي، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص 160-195.

- **تحصين المجتمع ضد الاستعمار وثقافته:**

فأغلبية شيوخ المحاضر كانت واعية بخطورة الاستعمار وأفكاره، لذا حاولوا الوقوف أمام زحفه بشتى الوسائل، لهذا نجد معظم الشيوخ – إن لم نقل كلهم – سعوا إلى تثبيت دعائم العلم في البلاد من خلال تسخير ممتلكاتهم في سبيل الراحة النفسية والمادية للطلاب، جاعلين من القرآن الكريم سلاحاً ومن ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم مدفعاً يقتل كل من تسول له نفسه مس قيمهم الإسلامية، ومن ثم رفض ومواجهة خطط الإدارة الفرنسية والتصدي لأفكارها ومدارسها بكل أشكال التحريض والتوعية.

فقد كان للشيخ ماء العينين" دوراً كبيراً في هذا المجال، وهذا ببنائه عدة زوايا لتعليم القرآن الكريم واللغة العربية وإعطاء تعاليم مناهضة للاستعمار الفرنسي في أطار بأدرار، إلى جانب زاويته الرئيسية بالسمارة، إضافة إلى الشيخ محمد عبد الله بن احمديه" الذي ظل متمسكاً بموقفه الرافض للاستعمار ومرابطاً على الجبهة الثقافية، إلى جانب دعوته إلى عدم نجدة فرنسا في الحرب العالمية الأولى.

كما سعى الشيخ أحمد حماه الله التشيتي" وهو من المتصوفة أتباع **الطريقة التيجانية**[1] الذين تزعموا المقاومة الدينية الثقافية إلى ضرورة استمرارية الطريقة وحمايتها من الاندثار باعتبارها أحد وسائل مواجهة المستعمر متخذاً منها سبيلاً للدعوة إلى الله وتوعية الشعب من مخاطر الاستكانة لهذه السياسة الاستعمارية وما تخلفه من تدنيس للدين ومعالم الشخصية التراثية العربية الإفريقية الإسلامية، وقد عمد إلى أساليب عديدة كتقصير الصلاة والدعوة إلى الجهاد الحماية السكان من التسلط الفرنسي[2].

[1] **التيجانية:**من الطرق الدينية الصوفية تأسست على يد أبو العباس أحمد التيجاني (1150–1230هـ) الذي اتخذ من قرية عين ماضي مقرا رئيسيا لها، انتشرت في شمال إفريقيا بعد هجرته إلى فاس 1798م، عرفت امتداد ونفوذ قوي في بلدان غرب إفريقيا بفعل قبيلة "ايداو علي الموريتانية، و كذا لسهولة أذكارها على مورديها ولموقفها الواضح من الاستعمار، ينظر : شيخ لعرج، **موقف الطريقة التيجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال وغرب إفريقيا خلال ق 19م و بداية ق 20م**، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه علوم ، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، جامعة وهران 2017، ص ص 28–26.

[2] ليلى ابلالي، فايزة فرفور: المرجع السابق 71.

والملاحظ هنا هو أن المحاضر والزوايا الشنقيطية كونت أبناءها تكويناً أشبه بالأكاديمي جعل منهم صخور صلبة تتحطم عليها كل محاولات المسخ والتغريب فكان من هؤلاء رسل حضارة وعلم، وكان من بينهم أئمة أفذاذ أمثال الشيخ ماء العينين" و "حماه الله" اللذين ساهما في إجهاض مشاريع المستعمر الثقافية.

- **رفض ومقاطعة مشاريع الاستعمار واستهجانه:**

اتبع شيوخ المحاضر في حركة المقاومة الدينية والثقافية إستراتيجية تعتمد على النبذ والتحذير كثاني خطوة لمجابهة المخططات الاستعمارية للمسخ العقائدي، خاصة ما تعلق بمدارسها التي نصبتها في وجه المحضرة وعبر ربوع المنطقة، فقد وقف شيوخ المحاضر لهذه المدارس بالمرصاد خاصة الشعراء منهم، إذ بسطوا إلى المستعمر أيديهم وألسنتهم بالسوء محذرين أبناء المسلمين من تلك المدارس الفرنسية، داعين إلى نبذها وراء الظهور، ومن النصوص البارزة في هذا السياق أبيات الشيخ أحمد بن محمدن بن المنى الحسني" قال فيها:

فلا تجعل صبيك في لكول***الثامن من لهيب لظى الأكول

وكن عنها إذا نشرت ذووها*** ليدخلها الدعاية ذا نكول

ولا تقل العدول الشم فيها *** وفيها الشم أبناء العدول

فليست عصمة الرحمن إلا *** لمن جاز النبوة كالرسول [1].

وبالفعل فقد امتنع أغلب السكان عن المدرسة الفرنسية – كما ذكرنا سابقا – استجابة الدعوة شيوخ المحاضر إلى مقاطعتها.

وبدوره أعلن الشيخ "حماه الله " الجهاد بدون سلاح فبعث الدعاية ضد المستعمر وقصر الصلاة الرباعية لسنتين معتبراً أن البلاد في حالة حرب فهو بذلك لا يأمن على نفسه وعياله وتلامذته بوجود المستعمر، معتمداً في ذلك على الآية الكريمة: (وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِے اَلْاَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ اَن تَقْصُرُواْ مِنَ اَلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَّفْتِنَكُمُ اَلذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنَّ اَلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوّاً

[1] بوها محمد عبد الله سيدي، المرجع السابق، ص 181.

مُبِيناً ﴾[1]، وتحدى كبرياء رجال الإدارة الفرنسية وهذا ما أكده "فرانسيس دوشي" بقوله: «أن هناك تيارات دينية أثارت قلق السلطات الاستعمارية وخرجت على سيطرتها كالجماعة **الغطفية**[2] في أدرار وتكانت وأتباع الشيخ إبراهيم إيناس" في موريتانيا وأتباع "الشيخ حماه الله»، فهو لا يعترف بهم كسلطة حاكمة فهم في نظره أعداء الله ولا يجب الخضوع لهم لا بالقول ولا بالفعل فهو يرى أن عدم التعامل معهم وتجاهلهم خير من التواصل معهم كونهم مخالفين لنا في الدين ولا ينبغي الصفح عنهم، ولا يجب الوثوق بهم لا نهم مخادعون ولابد من محاربتهم بشتى الوسائل كونهم لم يأتوا مسالمين[3].

وهو ما جعل السلطات الاستعمارية تجعله (حماه الله) نصب أعينها وتتخذ إجراءات صارمة ضده وتصنفه بأنه رجل يشكل خطراً على الأمن القومي الفرنسي، فتم سجنه خمس سنوات بعدها نفي إلى ساحل العاج ثم إلى فرنسا أين انقطعت صلته بالبلاد.

- **إصدار النصوص الشرعية التي تحذر من ثقافة المستعمر المسيحية التبشيرية:**

في هذا الإطار طرح الفقهاء العديد من الإشكالات المستحدثة أو النوازل المتعلقة بالاستعمار ومخططاته، وقاموا بإصدار النصوص والفتاوى التي تجيزها أو تمنعها أو تحرمها مستندين في ذلك لمختلف النصوص الشرعية، فعلى سبيل المثال إشكالية جواز تعلم اللغات الأجنبية وحكم دخول الأبناء إلى مدارس الاحتلال الفرنسي واجهه البعض بالصمت خوفاً وتقية، وأجاب عنه البعض الآخر تلميحاً على نحو ما ورد على لسان الشيخ "عبد الله بن داداه" إذ قال:

الصمت دون ما يخاف جنه وقال في إضاءة الدجنة

الحق لا يخفى على ذو عين والله ارجوا عصمة من مين

[1] سورة النساء، الآية 101.

[2] **الغطفية:** طريقة صوفية شاذلية تنسب للشيخ محمد الاغطف ابن حمى الله بن سالم الدادوي الجعفري (ت: 1218هـ -(1803م) وعنه أخذها الشيخ المختار بن أعمر البصادي الملقب ب الخلف (ت: في 13م) وهي مزيج بين الطريقتين القادرية والشاذلية، تركز على العمل والإنتاج والتقشف والجلد. ينظر: https://archive.kiffainfo.net/article14950.html، تاريخ التصفح: 16-04-2026 م، 17:34.

[3] فاطمة رقادي، يمينه العبادي، المرجع السابق، ص 33.

وممن أفتى أيضاً بحرمة هذه المدارس الشيخ محمد حامد بن آلا الحسني" و "المختار بن ايلول ألحاجي"، كما حرر المرابط "محمد سالم بن ألما" فتوى يَعْجَبُ ضمنها ممن يسلم نجله لتعلم لغات الكفار ودياناتهم، وعن إشكالية الهجرة في ظل التواجد الاستعماري فقد رأى بعض العلماء أن الهجرة من بلاد سيطر عليها النصارى أمر واجب كوجوب الجهاد، وذلك بسبب عدم قدرة أصحاب هذا البلد على الجهاد، وقد أفتى الشيخ سيدي محمد بن حامني الغلاوي" بأن الهجرة من بلاد فيها الحرب والسلطة فيها للكافر إلى دار الإسلام والتي فيها السلطة للمسلمين ويأمن المسلم على نفسه واجبة بالدليل من الكتاب والسنة والإجماع على القادرين عليها.

وبناء على هذه الفتوى هاجر العديد من سكان موريتانيا إلى المغرب الأقصى وغيرها من البلدان الأخرى، أكبرها التي انطلقت من الحوض سنة 1908م بقيادة الشيخ محمد الأمين بن زيني القلقمي" الذي خرج على رأس ستمائة (600) رجل ترافقهم عائلاتهم، وقد تركوا أثراً طيباً في ليبيا والأردن وتركيا[1].

2) في المجال العسكري:

إن البحث في شيوخ المحاضر الذين حاربوا الاستعمار الفرنسي يقودنا للحديث عن العلاقة بين المحضرة والجهاد، فبالإضافة إلى أن المحاضر مؤسسات اجتماعية تعليمية نشأت على يد العالم الجليل "عبد الله بن ياسين مع مطلع القرن الخامس الهجري (427هـ)، في ظل الرباط الذي أقامه شمال نواكشوط استعدادا للجهاد، كانت المحضرة لهذا السبب توأماً للجهاد والرباط منذ نشأتها. ولعل هذه الحقيقة في نظرنا هي التي أذكت روح الجهاد ضد المستعمر في نفوس شيوخ المحاضر قبل دخوله البلاد وأثناء الاحتلال وبعده، وقد تجسد لنا هذا الجهاد في نقطتين أساسيتين هما:

[1] فاطمة رقادي، يمينه العبادي، المرجع السابق، ص 36.

- **إصدار الفتاوى والقوانين التي توجب مقاومة الاستعمار بالسلاح:**

فالعديد من أشياخ المحاضر شحذوا أقلامهم للدفاع عن حوزة الوطن الشنقيطي مصرحين بلزوم مواجهة النصارى ومجاهدتهم وذلك ما أوضحه الشيخ المختار بن المعلى" داعياً على قوات الاحتلال بقصمات الظهر واختلاف الصفوف مع الخزي والهوان فقال:

يمين البر اتبعها يمينا***لقد وجبت مجاهدة النصارى

أزال الله ملكهم وأجرى*** جراف الكبت فيهم والدمارا

ومزقهم بعنقا عنقفيز ***وارد فها الزمانة والخسارا

فلا نهضوا الى الغرا بكيد***ولا شدوا لناصرها إزارا[1]

ولعل صرخة الشيخ "سيد محمد بن الشيخ سيديا" (ت 1286هـ) التي دعا فيها المسلمين الحمل السلاح في وجه المستعمر والجهاد في سبيل الله حتى لا يقعوا ضحية للاحتلال الفرنسي خير شاهد على مقاومة العلماء الشناقطة للاستعمار فقال:

حماة الدين إن الدين صارا *** أسيرا للصوص والنصارى

فإن بادر تموه تداركوه ***وإلا يسبق السيف البدارا

وروم عاينوا في الدين ضعفا *** فراموا كل ما راموا اختيارا

فإن أنتم سعيتم وانتدبتم***برغم منها از دجروا ازدجارا.

وهذا الشيخ أحدود بن اكتو شن (ت 1289هـ / 1872م) يدعو الموريتانيين لقتال المستعمر ولو بالعصي، تعبيراً منه لعدم الاستكانة لهذا العدو الغاشم قائلاً:

فخذوا النبل والرماح وراموا***والمدى العصل والعصي الكبارا

وسيوفا صوارما ليس تنبوا *** ورعودا تقصر الأعمارا.

[1] محمدن بن أحمد: **المحاضر الشنقيطية تحصين للفرد وتمكين في الأرض**، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، ع1، نواكشوط ،2016، ص 327.

فجل شيوخ المحاضر صرحوا علانية بعدم موافقتهم على دخول النصارى بلادهم، وأن الجهاد ضد الكفار واجب مصداقاً لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ، وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ، وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)[1] ، وكذا قوله تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)[2] ، فهم أعداء الله ورسوله وأعداء وطنهم.[3]

- **الدعوة إلى الجهاد وتزعمه:**

وهو ما أذكى روح المقاومة في نفوس القبائل، حيث لقيت هذه الدعوة استجابة قوية من كل الموريتانيين سواء كانوا أمراء أو غيرهم، فكان الجهاد بهذا ثمرة من ثمار المحضرة. فهذا العلامة "محمد الخضر ولد مايابي" من أهم هؤلاء العلماء، حيث كان المرشد الروحي والعلمي للمجاهدين مسطراً بذلك تاريخاً تليداً ومجداً شريفاً في سبيل الدعوة إلى حماية الوطن.

ولعل مقاومة الشيخ ماء العينين" زعيم الطريقة القادرية أفضل مثال على ذلك، حيث أعلن رحمه الله جهاده لإعلاء كلمة الله والدفاع عن الوطن بشتى الطرق، فجهر بذلك في أواسط القبائل الصحراوية فاجتمعت من حوله كل القبائل معلنة موقفها المؤيد على رفع راية الجهاد. فاستطاع بذلك أن يجمع مناصرين له ومن مختلف الأمصار وتأمين حاضرة جمع فيها مقاومين من بني حسان ومقاومين من زوايا أخرى، وبذلك شن حرباً لا هوادة فيها على الفرنسيين خاصة من ناحية أدرار ما بين سنتي 1905م – 1910م والتي خسر فيها "كوبولاني" العديد من رجاله، كما لقي حتفه هو الآخر سنة 1905م، الأمر الذي جعل السلطات الاستعمارية تسعى لاستمالته وبشتى الطرق، إلا أن محاولاتها باءت بالفشل.

وبهذا ستطاع الشيخ ماء العينين" من خلال سياسته الرشيدة المتمثلة في جمع المقاومين وحثهم على الجهاد واستثارة هممهم أن يكون حصناً منيعاً لمواجهة الهيمنة الفرنسية بموريتانيا لمدة ثمان سنوات وكان لمبايعته وولائه للسلطان المغربي الدور الكبير في دعمه بالسلاح والمؤن، وعلى الرغم من وفاته سنة 1910م ماء العينين) إلا أنه خلف رجالاً في الجهاد والتصدي

[1] سورة التوبة، الآية 73.

[2] سورة البقرة، الآية 190.

[3] ليلى ابلالي، فايزة فرفور، المرجع السابق، ص 76.

للعدو أكملوا ما أراد وساروا على نهجه منهم الشيخ "مربيه ربه" والشيخ "النعمة" والشيخ ماء العينين بن الشيخ الحسن" والشيخ "محمد الهيبة".

هذا الأخير الذي أثار مواصلة الجهاد وحذا حذو أبيه الشيخ ماء العينين"، حيث كان للحركة الجهادية التي قادها الشيخ أحمد الهيبة" بعدما التفت حوله القبائل السوسية والصحراوية والشنقيطية ومن انضم إليها، ودعمها لأخيه الشيخ مربيه ربه من بعده، دور كبير في اضطراب الحماية الفرنسية وهي تحاول تثبيت أقدامها في الوسط المغاربي وإحكام قبضتها عليه، وبفضل التفاف هذه القبائل حوله، وقف الاستعمار حائراً أمام مواجهة المحاضر وشيوخها وصمودها.

وهكذا ساهم هذا الالتحام وتلك العلاقة المتميزة في بناء ذلك الجدار الصلب الذي تحطمت عليه قوة الحماية الفرنسية وصلابتها وجبروتها إلى غاية أواخر سنة 1934م.[1]

ومن بين العلماء أيضا الذين ناهضوا الاحتلال وحملوا السلاح في وجهه الشيخ "عابدين الكنتي" الذي حاول المستشرق "بول" مارتي" أن يقلل من شأنه، والشيخ "حماه الله" الذي دعا علانية إلى الجهاد فالتف حوله العديد من الأفارقة الذين لبوا النداء من مختلف الأقطار، إلا أن المستعمر الفرنسي أبدى تخوفه من الشيخ باعتباره خاض ضدهم نفس الجهاد الذي خاضه شيخاه "سيدي بوطيبة التلمساني والشيخ "عمر بن سعيد الفوتي"، وهو ما جعل الشيخ "حماه الله" يدعو إلى الجهاد بدون سلاح، فبدأ بنشر الدعاية ضد المحتل الفرنسي كما ذكرنا آنفا.

يبدو لنا مما سبق أن شيوخ المحاضر لم يكن الأمر بالنسبة لهم كافياً بالتصريح علانية عن عدم موافقتهم على دخول المستعمر بلادهم، وإنما تجاوز الأمر ذلك إلى الدعوة إلى الجهاد لدى جلهم، وهذا من خلال دعوة القبائل إلى حمل السلاح معهم ليشنوا بذلك حرباً لا هوادة فيها ضد الفرنسيين.[2]

[1] حليمة بوعلام، فتيحة برقوق، **دور الشيخ ماء العينين في مواجهة الاستعمار الفرنسي في منطقة جنوب موريتانيا خلال القرن 19م**، 1900-1916، مذكرة ماستر في تخصص دراسات افريقية قسم العلوم الإنسانية، جامعة خميس مليانة، 2015، ص 89.

[2] ليلى ابلالي، فايزة فرفور، المرجع السابق، ص 78.

خلاصة الفصل الثاني:

ما يمكن استخلاصه من خلال دراستنا لهذا الفصل أن نشر التعليم الفرنسي في موريتانيا لم يكن مهمة سهلة في وسط مجتمع بدوي متشبع بالثقافة الإسلامية والروح العربية، ما تطلب من الاحتلال بذل جهد مضاعف لجعل الموريتانيين يعترفون بها ويقبلون عليها، لكن سياسة الترغيب والترهيب أنت بنتيجة عكسية حيث دفعت الموريتانيين للتمسك أكثر بموقفهم المعادي للمدرسة الفرنسية والتصدي لها بمقاومة ثقافية أخذت أشكال مختلفة قادها شيوخ المحاضر وشارك فيها حتى بعض السياسيين خريجي المدارس الفرنسية، استمرت هذه المقاومة منذ بداية مشروع المدرسة إلى خروج الاحتلال، كما كان لعوامل أخرى عسكرية وسياسية ومالية وطبيعية دور في إعاقة المدرسة الفرنسية التي لم تنجح في دفع الموريتانيين إلى تبني الثقافة الفرنسية والتخلي عن عروبتهم وإسلامهم وبفضل المقاومة الثقافية ظل تأثير المدرسة الفرنسية في وسطهم محدود مع ذلك فقد انعكس وجودها على المجتمع الموريتاني بالسلب وأكبر مشكل خلفته الموريتانيا مشكل الهوية والانتماء.

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة المعنونة بـ (المقاومة الثقافية والدينية في موريتانيا ضد الاستعمار الفرنسي)، يمكن القول إن موريتانيا خاضت واحدة من أروع ملاحم الصمود الثقافي والديني في التاريخ الحديث والمعاصر ضد التوغل الاستعماري الفرنسي. فبينما كان الاحتلال الفرنسي يرتكز على آليات الطمس والفرنسة عبر مشروعه الاستعماري لإخضاع المجتمع الشنقيطي وتغريبه، شكلت المؤسسات التعليمية الأصيلة، وعلى رأسها المحضرة الموريتانية، خط الدفاع الأول والجدار الثقافي المنيع الذي حال دون ذوبان الهوية الإسلامية العربية في بوتقة الاستيعاب الفرنسي.

لقد أثبتت المحاضر بمرونتها الفريدة وقدرتها على التكيف مع قساوة البيئة الصحراوية أنها قوة عصية على التدجين والاحتواء. ولم تكن المقاومة الثقافية والدينية مجرد رد فعل عابر، بل كانت مكملاً استراتيجياً وضامناً وجودياً للمقاومة العسكرية، ومحركاً رئيساً نجح في الحفاظ على مقومات الأمة وديمومة إرثها الحضاري والديني طيلة عقود الاحتلال وحتى نيل الاستقلال عام 1960م. ومن أبرز النتائج المستخلصة من الدراسة نذكر:

- ✓ أصالة وتفرد النظام المحضري: تميز التعليم المحضري في موريتانيا بطرق ومناهج تعليمية وتربوية انفردت بها عن بقية المدارس في العالم الإسلامي؛ حيث نجحت في تحويل المجتمع البدوي إلى مجتمع متعلم تندر فيه الأمية، ولم يُحرَم فيه أحد من طلب العلم بما في ذلك النساء والعبيد.
- ✓ فشل سياسة الفرنسة والغزو الثقافي: كشفت الدراسة عن الوعي الصلب للمجتمع الموريتاني في مقاطعة المدارس النظامية الاستعراضية التي أنشأتها فرنسا لطمس الهوية؛ حيث بقيت نسب الالتحاق بها ضئيلة جداً (قدرت بـ 1.1% فقط عام 1932م مقارنة بـ 3.7% في بقية مستعمرات غرب إفريقيا)، مما أصاب المشروع التغريبي بالعجز.
- ✓ الدور القيادي الفعال للعلماء والمشايخ: برز علماء المحاضر كقادة روحيين للمجاهدين؛ حيث شحذوا أقلامهم وفتاواهم الصارمة لتحريم الانخراط في المدارس الفرنسية واعتبروها مخالفة للشرع ومهددة للفطرة والعقيدة (كفتاوى العلامة محمد الخضر ولد مايابي والعالم المختار ولد إيلول).

- ✓ الممانعة المادية والتعفف عن المغريات: أظهر شيوخ المحاضر صموداً مبدئياً عظيماً برفضهم القاطع للمراسيم والإغراءات المادية التي حاولت فرنسا عبرها اختراق المحاضر، ومن أبرزها مرسوم عام 1906م الذي قضى بمنح 300 فرنك شهرياً لكل شيخ محظرة يُدرّس ساعتين من اللغة الفرنسية؛ حيث رُفضت المنحة بالكامل رغم الظروف الاقتصادية الصعبة للمحاضر.
- ✓ إجبار المستعمر على التراجع والتكيف: اضطرت السلطات الاستعراضية الفرنسية إلى تعديل حساباتها وتكييف برامجها أمام الممانعة الصلبة للشنقيطيين؛ فأصدرت قرارات تسمح بتعليم العربية وأقرت "التعليم المزدوج" (كما في مدرسة أطار وبوتلميت) لاستمالة الأهالي، إلا أن العلماء رفضوها وتم اطلوا في التدريس بها منعاً لتمرير الأجندة الفرنسية.
- ✓ البعد الإشعاعي الخارجي للمحضرة: لم يقتصر دور المحظرة على الداخل الموريتاني، بل امتد ليكون جسراً ثقافياً متيناً؛ حيث ساهم علماؤها في نشر الثقافة الإسلامية في أعماق إفريقيا الغربية، وبرز دورهم كسفراء علم شهدت بموسوعيتهم أقطار المشرق والمغرب العربي (أمثال الشيخ ماء العينين، والعلامة محمد محمود بن التلاميد في مصر، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي في الحجاز).
- ✓ التلازم الوجودي بين السيف والقلم: أثبت البحث تلازماً وثيقاً بين المقاومة المسلحة والمقاومة العلمية؛ فالعديد من الرموز والقبائل في بلاد شنقيط كانوا يجمعون بين حمل السلاح لصد التوغل العسكري وحمل القلم في المحاضر والزوايا لنشر العلم وتحصين الأمة، مما عطل السيطرة الفرنسية الكاملة لسنوات طويلة.

الملاحق

الملحق رقم 1: كزافي كوبولاني مدير الحملة الفرنسية على موريتانيا[1]

[1] عفاف عباس، المرجع السابق، ص 119.

الملحق رقم 2: خريطة موريتانيا السياسية.[1]

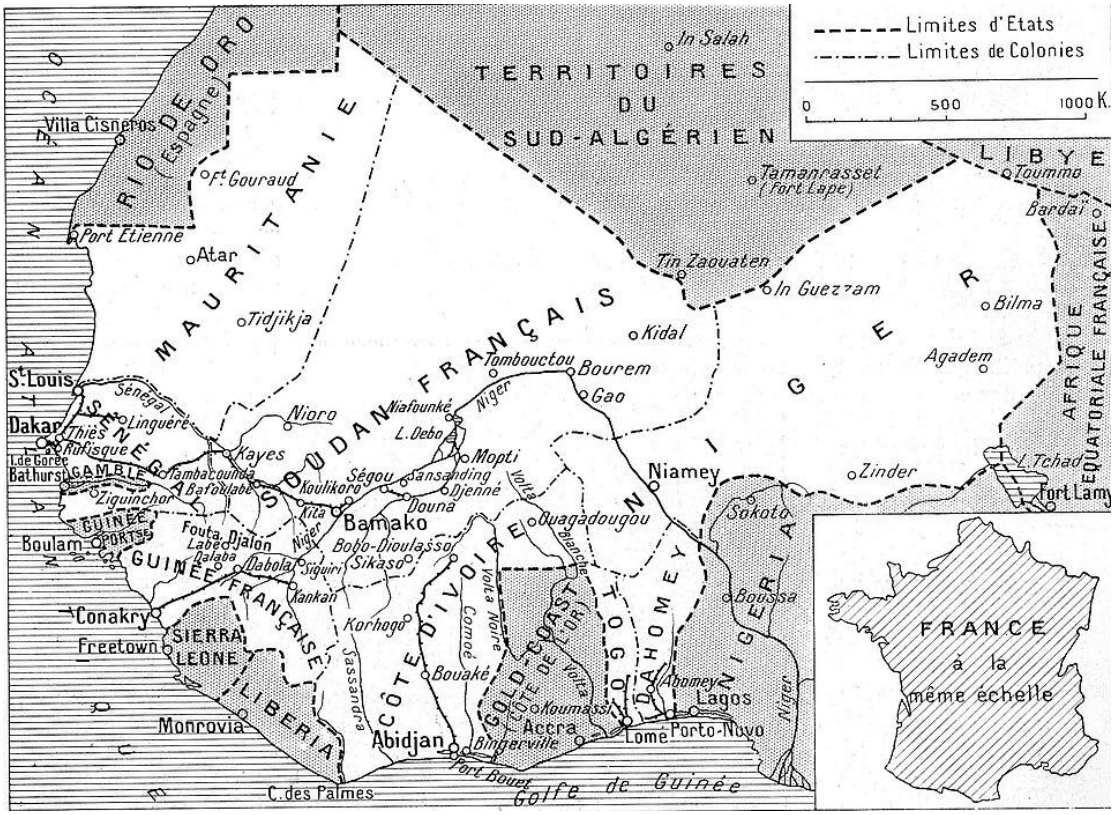

[1] Carte de l'AOF ("Les sept colonies qui composent l'Afrique occidentale française" in *L'oeuvre de la France en Afrique occidentale*, numéro spécial de *L'Illustration*, 29 février 1936, p. 261)

الملحق رقم 3: محضرة موريتانية [1]

[1] https://2u.pw/JNYlsJ

الملحق رقم 4: الشيخ أحمد حماه الله[1]

[1] https://2u.pw/xzyATX

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا: قائمة المصادر:

1. جليه الرائد: التوغل في موريتانيا اكتشافات – استكشافات – غزو، تر ولد حمن، دار الضياء، الكويت، 2009.
2. شاكر محمود: موريتانيا بلاد شنقيط مكتبة الفتح، دمشق، 1965م.
3. الشنقيطي أحمد بن الأمين: الوسيط في التراجم آداب الشنقيطي، مطبعة حارة الروم، بيروت، 2004.
4. كمرا الشيخ موسى: تاريخ قبائل البيضان عرب الصحراء الكبرى تح: حماه الله ولد السالم دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2009.
5. ولد حامد المختار: حياة موريتانيا – الجغرافية – منشورات معهد الدراسات الافريقية، 1994.

ثانيا: قائمة المراجع:

1. أحمد اسماعيل راشد: تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، لبنان، 2004.
2. أحمد السالم ولد محمدو وآخرون: تاريخ القضاء في موريتانيا من عهد المرابطين إلى الاستقلال المؤسسة الوطنية للإدارة، تونس، 1997م.
3. باغي إسماعيل أحمد، ومحمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر لقارة إفريقية 1492– 1980م، ج 2، مكتبة العبيكان، بيروت، ط3 2001.
4. بن سيدي محمد مولاي امحمد: التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط، ط 1، دار يوسف بن تاشفين، 2008م.
5. ولد صدفن محمد الراضي: السياسة الاستعمارية في موريتانيا وأثرها على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية 1900– 1969، الطبعة الوطنية، بيروت، 1981.
6. بن محنض الحسين: تاريخ موريتانيا الحديث 1645م – 1905م، ط1، دار الفكر، نواكشوط، 2010.
7. بنت البراء مباركة: الشعر الموريتاني الحديث من 1970 إلى 1995، دراسة نقدية تحليلية، من منشورات اتحاد الكتاب العرب 1998م.
8. بوزنكاض محمد: الإفريقية الصحراء في العلاقات المغربية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2015م.
9. الجندي أنور: العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، دار الكتب اللبناني، ط2، 1983م.
10. حماه الله ولد السالم: تاريخ بلاد شنكيطي "موريتانيا "، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، 2010م.
11. الزبدي مفيد: التاريخ العربي بين الحداثة والمعاصرة، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2011 م.
12. سيدي الشيخ أحمد ولد هارون ولد الشيخ: الشيخ سيدي الموروث الثقافي والأدبي، دار المعرفة، الجزائر، 2009م.
13. الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين: كتاب السلافية واعلامها في موريتانيا (الشنقيطي)، دار ابن الحزم، بيروت، ط1، 1995م.
14. عاطف عبد: قصة وتاريخ الحضارات العربية، ط 1، لبنان، 2004.
15. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم شوقي الجمل: دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، د. ط، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، 1998 م.
16. محمد عابد الجابري المسألة الثقافية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1999م.
17. محمد ناصر العبودي: إطلالة على موريتانيا، دار المريخ للنشر، الرياض، 1998م.
18. المختار بن حامد: حياة موريتانيا (الحياة الثقافة)، الدار العربية للكتاب، (د.ت).

19. النحوي الخليل: بلاد شنقيط المنارة والرباط – عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987.
20. ولد اباه محمد المختار، الشعر والشعراء في موريتانيا، ط3، دار الأمان، الرباط، 2003م.
21. يحي أبو زكريا: موريتانيا المسلمة بين الإسلام والتغريب، دار ناشري، الكويت، 2003م.
22. يوره الديماني أحمد بن أحمد: إخبار الأخبار بأخبار الآبار، تر: بول مارتي، تح: أحمد ولد الحسن، مكتبة النجاح الجديدة الدار البيضاء، 1992م.

ثالثا: المجلات:

1. أحمد بالعجال، السياسة الثقافية الفرنسية في موريتانيا خلال الفترة الاستعمارية (1903–1960م) التعليم مثالا، مجلة الإحياء، مج 21، ع29 ،2021م.
2. أدب ولد سيدا محمد مشروع احتلال موريتانيا، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية موريتانيا، ع 04 ،2020م.
3. عبد الأمير عباس الحيالي أبعاد الصراع الموريتاني السنغالي في حوض نهر السنغال، مجلة الفتح، كلية التربية والعلوم الإنسانية ع 34، العراق، 2008م.
4. عبد الأمير عباس الخيالي: أبعاد الصراع الموريتاني السنغالي بحوض نهر السنغال، في مجلة الفتح، كلية التربية جامعة ديالي، ع34، 2008م.
5. عمار غرايبة: التعليم الديني البدوي في صحراء شنقيط، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الشهيد حمه الخضر الوادي، ع 05، 2016م.
6. محمد أمين محمدو: المحاضر الموريتانية مؤسسات النقل المعارف، مجلة تاريخ العربي، ع 22، الرباط، 2016م.
7. محمدن بن أحمد بن المحبوبي: "المحاضر الشنقيطية تحصين للفرد وتمكين في الأرض"، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، المجلد 1، ع1، جامعة الأغواط، 2016م.

رابعا: الرسائل والأطروحات:

أ- الأطروحات:

1. صابر نور الدين: الدور الاستعماري لكزافيي كبولاني في الجزائر وموريتانيا 1866 – 1905، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تلمسان، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2017–2018م.
2. لعرج شيخ، موقف الطريقة التيجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال وغرب إفريقيا خلال ق 19م وبداية ق 20م، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه علوم، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، جامعة وهران 2017م.

ب- الرسائل:

1. الماجستير:

- علي بدوي علي سالمان: الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا 1903 1960، مذكرة ماجستير في الدراسات الأفريقية، قسم التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة القاهرة، مصر، 2003م.

ج- الماستر:

1. حبيبة ميلود – كريمة مقدم: السياسة التعليمية الفرنسية في موريتانيا 1903–1960م، مذكرة ماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر، جامعة أدرار، 2019م.
2. حليمة بوعلام، فتيحة برقوق، دور الشيخ ماء العينين في مواجهة الاستعمار الفرنسي في منطقة جنوب موريتانيا خلال القرن 19م، 1900–1916، مذكرة ماستر في تخصص دراسات افريقية قسم العلوم الإنسانية، جامعة خميس مليانة، 2015م.

3. حمداني نعيمة – بن سهيل عائشة: ظهور الحركة الوطنية الموريتانية وتطورها 1903–1960، مذكرة ماستر تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر، جامعة تيارت ،2021م.
4. خميسة بن قدور _مباركة مبروك: المقاومة الموريتانية للاحتلال الفرنسي1903–1960 م، مذكرة ماستر، تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة الوادي ،2021 م.
5. طالبة مبروكة – مولاي شهرزاد: جوانب الحياة الاجتماعية في موريتانيا خلال الاستعمارية 1903– 1960، مذكرة لنيل شهادة ماستر، تخصص تاريخ المعاصر، جامعة أدرار، 2019م.
6. ليلى ابلالي، فايزة فرفور: المحاضر الموريتانية واسهاماتها في مقاومة الاحتلال الفرنسي 1903–1960م، مذكرة ماستر تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر، جامعة أدرار، 2020م.

خامسا: المعاجم والموسوعات:

1. أحمد بن الأمين الشنقيطي: الوسيط في تراجم الأدباء شنقيط، ط4، دار الكتب المصرية، 1989م.
2. الفوزان بن عبد الرحمن فوزان: الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن السعود الإسلامية، ط1، المملكة العربية السعودية، مج 14 ،1999م.

سادسا: المواقع الإلكترونية:

1. https://2u.pw/xlR8S1
2. https://arabic.mapsofworld.com/mauritania/ ، تاريخ التصفح 02–05–2026، 18 :06.
3. https://archive.kiffainfo.net/article14950.html، تاريخ التصفح : 16–04–2026 م، 17 :34.
4. سيدي ولد أحمد مولود: المقاومة الثقافية بشهادة الفرنسيين" – وكالة وطني للأخبار www.wateni.com، ص 9، تاريخ التصفح، 12–05–2026م.
5. وزارة الشؤون الخارجية الموريتانية، "تعريف بموريتانيا"، 2022، الموقع الرسمي للوزارة، تاريخ الاطلاع: 12 ماي 2026م.

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
الإهداء	
شكر وتقدير	
المقدمة	أ ـــــ ح
الفصل التاريخي: نبذة عن موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي	
أولا: موريتانيا بين الجغرافيا والتاريخ	08
ثانيا: أوضاع موريتانيا قبيل الاحتلال الفرنسي	14
خلاصة الفصل	16
الفصل الأول: الاحتلال الفرنسي لموريتانيا وسياسته	
أولا: أسباب الاحتلال الفرنسي لموريتانيا	18
ثانيا: مراحل الاحتلال الفرنسي لموريتانيا	22
ثالثا: السياسة الفرنسية في موريتانيا	26
خلاصة الفصل	34
الفصل الثاني: المقاومة الثقافية والدينية في موريتانيا	
أولا: المقاومة الثقافية	36
ثانيا: المقاومة الدينية	38
خلاصة الفصل	61
خاتمة	63
الملاحق	65
المصادر والمراجع	71

الملخص:

تعد المقاومة الثقافية والدينية في موريتانيا ضد الاستعمار الفرنسي (1903–1960) جانبًا مهمًا من تاريخ المقاومة الوطنية الموريتانية، إذ تؤكد أن مواجهة الاستعمار لم تقتصر على العمل العسكري، بل امتدت إلى المجالين الثقافي والديني باعتبارهما أساس الهوية الموريتانية. وقد سعت فرنسا منذ بداية احتلالها إلى فرض سياسة استعمارية تقوم على الفرنسة والاندماج الثقافي عبر التضييق على التعليم التقليدي، ومحاولة التحكم في المجال الديني، ونشر اللغة والثقافة الفرنسيتين، وعزل المجتمع الموريتاني عن امتداده العربي والإسلامي. وفي المقابل ظهرت مقاومة ثقافية ودينية قادها العلماء وشيوخ المحاضر والزوايا، حيث تحولت المحاضر إلى مؤسسات لحماية اللغة العربية ونشر العلوم الشرعية وترسيخ قيم الرفض والتمسك بالهوية الإسلامية. كما ساهمت هذه المقاومة في رفع الوعي الوطني وتحصين المجتمع من الذوبان الثقافي، وشكلت سندًا للمقاومة السياسية والوطنية ضد الوجود الفرنسي. وتخلص الدراسة إلى أن الدور الذي أدته النخب الدينية والثقافية كان حاسمًا في الحفاظ على الشخصية الحضارية لموريتانيا وضمان استمرار مقوماتها الثقافية والدينية حتى مرحلة الاستقلال سنة 1960.

الكلمات المفتاحية : موريتانيا، الاستعمار الفرنسي ، المقاومة الثقافية ، المقاومة الدينية ، المحاضر.

Summary:

Cultural and religious resistance in Mauritania against the French occupation (1903–1960) represents an important aspect of the country's national history of resistance. It shows that opposition to colonialism was not limited to military action, but also extended to the cultural and religious spheres, which are considered the foundation of Mauritanian identity. From the beginning of its occupation, France sought to impose a colonial policy based on *Francization* and cultural assimilation by restricting traditional education, attempting to control the religious sphere, promoting the French language and culture, and isolating Mauritanian society from its Arab and Islamic environment.

In response, a cultural and religious resistance emerged, led by scholars, shaykhs of the *mahadir* (traditional Qur'anic schools), and Sufi orders. These institutions became centers for preserving the Arabic language, spreading Islamic sciences, and reinforcing values of resistance and commitment to Islamic identity. This resistance also contributed to raising national awareness and protecting society from cultural assimilation, while supporting political and national resistance against the French presence.

The study concludes that the role played by religious and cultural elites was decisive in preserving Mauritania's civilizational identity and ensuring the continuity of its cultural and religious foundations until independence in 1960.

Keywords: Mauritania, French occupation, cultural resistance, religious resistance, *mahadir*.

جامعـــة زيـــان عاشـــور بالجلفة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ وعلم الآثار

الموسم الجامعي: 2026/2025 الجلفة في:

إذن بالطبـــــــــع

الطالب (ة): بلقاسم نصر الدين بوشخافة
رقم التسجيل: 212139028784
الطالب (ة): مصطفى ربيح
رقم التسجيل: 201539027366
التخصص: تاريخ المغرب الحربي المعاصر
عنوان المذكرة: المقاومة الثقافية والدينية في موريتانيا ضد الاستعمار الفرنسي (1903-1960م)

تحت إشراف الأستاذ: الطيب يوسفي

رئيس قسم التاريخ وعلم الآثار
إمضاء المشرف
إمضاء: أ.د/ الطيب يوسفي